سلسلة مؤلفات السيد الديباجي المطبوعة
(٤٢)

السيدة خديجة عليها السلام

مقاومة، إيثار، أسطورة

تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي

دام ظله الوارف

سلسلة مؤلفات السيد الديباجي المطبوعة
(٤٢)

السيدة خديجة عليها السلام

مقاومة، إيثار، أسطورة

تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي

دام ظله الوارف

الطبعة الالكترونية الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

الطبعة الالكترونية الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

قال أبو عبد الله عليه السلام:

إذا رأيتم العالم محبّاً للدنيا فاتّهموه على دينكم فإنّ كلّ محبٍّ لشيءٍ يحوط ما أحبّ؛ وقال عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم.

«الأصول الكافي، كتاب فضل العلم»

اختيار النموذج المثالي والصادق

على مدى التاريخ، وخصوصا في عصر العلم والصناعات والارتباطات، أثبتت التجربة أن المستعمرين أينما وضعوا أقدامهم استغلوا المرأة والتي هي العضو الحساس في المجتمع استغلالاً سيئاً، فبسطوا الطرق والميادين لإدخال وتثبيت حضارتهم بجعل النساء العابثات والعديمات الجدوى قدوة ونموذج لنساء العالم كأحسن وأفضل الممثلات والفتيات الجديرة واللائقة، وبذلك ضربوا صورة الإنسانية بضرباتٍ مهلكة وأبدلوا الحضارات الأصيلة للأمم بحضارتهم المبتذلة.

في هذه الحضارة عرّفوا بعض النساء بالنموذج المثالي التي كل همّها وفنّها هو الظهور عرياناً وتهييج الغرائز النفسية والشهوات الانحرافية.

وفي هذا الطريق ضيعوا وهدروا كرامة وشخصية المرأة والتي هي نصف الأعضاء الحساسة والعميقة للمجتمع، كما كانوا السبب في محو الفضائل الأخلاقية والقيم المعنوية العالية من المجتمع، ومن ثم ضربوا المجتمع ضربةً قوية بمطرقة الاستعمار والاستثمار.

وقد توجّه الإسلام لهذا المطلب بعمق والذي هو مؤسس للقوانين ونظام تحذير، وبتعريفه للنماذج الحقيقية والصادقة والكاذبة من النساء، حذّر أتباعه من تقليد واتّباع النماذج الكاذبة والفارغة، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن:

﴿ضَرَبَ اللهُ مثلاً للذين كَفَرُوا امرَأَةَ نوحٍ وامرَأَةَ لُوطٍ كانتا عبدينِ من عِبادنا صالحين فخانتاهما﴾.

ثم يقول:

﴿وضَرَبَ اللهُ مثلاً للذين آمنوا امرَأَةَ فرعون... ومريم ابنتَ عمرانَ التي أحصنت فرجَها﴾.[1]

نفهم من تلك الآيات: ان المرأة التي يجب أن تكون قدوة ونموذج هي التي تمتلك الارادة القوية

المحكمة، والاستقلال والايمان القوي، مثل السيدة آسيةعليها السلام زوجة فرعون والتي قضت على القواعد المحيطة بها، واشمئزّت وتنفرّت من التقليد الاعمى، فهي محطّمة للقواعد والسنن الخاطئة ولا تقبل بها أو تكتسبها، وتقبل الحق بالارادة المحكمة والثابته وتدافع عنه.

ومثل السيدة مريمعليها السلام التي كانت بوجودها الطاهر موقدا للقيم والكرامات ومربيّة للانسان الممتاز والصالح مثل سيدنا عيسىعليه السلام.

أمثال تلك النساء هم النماذج الحقيقية الصادقة اللاتي يجب اتخاذ حياتهن كقدوة و نموذج.

ولا يجب اتخاذ نساء كزوجة نوحعليه السلام وزوجة لوطعليه السلام قدوة، بالرغم من حصولهما على أزواج صالحة إلا أنهما خانتا أزواجهما وبسبب تقليدهما الأعمي للظروف القذرة المحيطة بهما اتجهتا باتجاه الكفر والنفاق وبدلاً من أن تكون كلاهما محطّمين للقواعد والسنن الباطلة، قبلت بها كلاهما واكتسبتاها.

في الواقع والحقيقة الآيات السابقة تنذر النساء المسلمات بأنه عندما لا تملك إحداهن الارادة القوية وتكون قابلة لاكتساب القواعد الباطلة ولا ترفضها فإنها سوف تسقط سقوطاً مبرحاً، حتى لو كانت لديها أزواجاً ممتازة وصالحة مثل نوحعليه السلام ولوطعليه السلام فإنها سوف تضيع.

نعم، بينما كانت المرأة تعرّف بأنها موجودٌ بين الانسان والحيوان، وكانت في النهاية ذليلة وساقطة من كل جهة، جاء الاسلام وأعلن أن المرأة كالرجل يجب عليها أن تكون مراقبة في المجتمع، وبمراقبتها الدقيقة تحفظ المجتمع من أي فساد، اذن من الواضح أن مقام المراقبة يبيّن أن المرأة يجب أن تكون قدوة صالحة ونموذج مثالي، وتحفظ المجتمع بعنوان الناظرة، ومن هذا المنطلق يقول القرآن: ﴿والمؤمنونَ والمؤمناتِ بعضُهُم أولياءُ بعضٍ يأمرون بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ﴾.[٢]

تعريف الكتاب الحالي

جاء الحديث في هذا الكتاب عن امرأة كانت أول امرأة أسلمت وأول زوجة للرسولصلى الله عليه وآله وسلم وكانت من جميع النواحي مظهراً للكمالات الانسانية والايثار والمقاومة، زوجة عاقلة وفهيمة، مدبّرة وعطوفة ومُحبّة، أُم ممتحنة ومربّية للفضائل، مجاهدة مقاومة وصبورة، مخلصة وليس لها نظير في الايثار، والدة الزهراء الطاهرة سلام الله عليها، ألا وهي السيدة خديجة الكبرىعليها السلام، إن حياتها المنيرة والمضيئة حقّاً لهي أفضل نموذج للنساء ذوات الشخصية.

إنها السيدة التي عرّفها الرسولصلى الله عليه وآله وسلم عند تعريفه لزينبعليها السلام بالتالي: جلّلوها فهي كالسيدة خديجة.[٣]

بالرغم من أن الحديث عن سيدة كالسيدة خديجةعليها السلام عمل غير سهل، ولا يمكن الكتابة عن سيدة

عظيمة كعظمتها بهذه الاقلام المتدنّية والمريضة، ولكن سنكتب بعنوان:

آب دريـــا را أگـــر نـتـــوان كـشـــيد
هـــم بـــه قـــدر تـشـنـكـي بـايـــد جـشـــيد
اذا لـم تـكـن تـسـتـطـيـع أن تـغـرف مـن مـاء الـبـحـر
فـانـك تـسـتـطـيـع أن تـذوق مـنـه بـمـقـدار الـعـطـش

أتمنى أن أكون قد صوّرت ورسمت الوجه النوراني لتلك المرأة العظيمة في هذا الكتاب. إن الكتاب مبني على الاختصار، لكن في نفس الوقت سعيت لأن يكون جامع ومفيد ويبين كل جوانب حياة تلك الامرأة الكبيرة في عالم البشريّة.

وحتـى تطالـع هذا الكتـاب بعين البصيرة وجدت أنه مـن اللازم تذكيركم لهـذه النقطة من البداية وهي:

أنه اذا قارنّا حياة السـيدة خديجة عليها السلام في بدايتها مع نهايتها، سـنجد أنها حقاً سـيدة ليس لها مثيل ولا نظير وأنها نابغة، وفي كل التاريخ لا نجد امرأة (فيما عدا ابنتها السيدة الزهراء سلام الله عليها) كالسيدة خديجة سـلام الله عليها حيث دخلت الى ميدان الحياة والى حوادثها الشـديدة بايثار ومقاومة واستقامة عجيبـة، ووضعـت كل وجودها في طبـقٍ من الاخلاص والفداء للحق، والتـي دافعت عن الحق بكل سخاوة وشهامة لا وصف لها.

إن مكانة السـيدة خديجة عليها السلام هي مكانة رفيعة وقديرة لدرجة أن الله سـبحانه وتعالى يشـبّه السـيدة خديجـة عليها السلام لموسـى عليه السلام في الكتاب السـماوي التوراة بأنهـا كالنهر الجاري وماؤه مـاء الحياة ويوجد على طرفه شجرة الحياة، ولتلك الشجرة اثنتى عشرة نوع من الفاكهة، وأوراقها تجلب الشفاء للأمم.[٤]

هذه التعابير تبين أهمية وجود السيدة خديجة عليها السلام المباركة وآثارها النورانية القيّمة جداً.

السـيدة «سـنيّة القرّاعة» العالمة العربية لها تعبير جميل في وصف السيدة خديجة عليها السلام حيث تقول: «إن التاريخ يطأطأ أمامها بكل تواضع ويقف بأيدٍ مغلقة ولا يعلم بأي سجلٍ من سجلات العظماء يسجّل اسم هذه السيدة».[٥]

وحقاً إنه يجب أن يسـجّل اسـمها في كل سـجل من سجلات العظماء، فإن اسـمها الجميل والغني بالمعاني سيكون زينة ذلك السجل، ولن يقدر ذلك السجـل على تعريفها.

كان للمؤلف قبل تأليف هذا الكتاب صورة عن مقام السـيدة خديجة عليها السلام في مخيلتي، مثلاً اذا كانت بمقدار مئة درجة، من بعد التحقيق وكتابة هذا الكتاب (بالرغم من أن هذا الكتاب عبارة عن فصول في حياة السيدة خديجة) وصلت تلك المئة درجة الى ألف درجة، وكنت سابقا ادعو الدعاء المعروف: الهي

بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، ولكن الآن أضفت إليه هذه الجملة: وبحق أمها.

حقاً إن السيدة خديجة هي نبع المحبة والصفاء والوفاء والشجاعة والايثار والاخلاص والايمان والمقاومة والشرف العالي الملكوتي والانساني وفي كلمة واحدة يمكن القول بأنها أسطورة غير قابلة للتكرار ونادرة في التاريخ.

وعلى حسب قول «سليمان الكتّاني» الكاتب العربي المعروف: «وهبت خديجةعليها السلام ثروتها لمحمدصلى الله عليه وآله، ولكن لم يكن لديها أدنى إحساس بأنها وهبته، وإنما كان لديها الاحساس بأنها تكتسب منه الهداية التي هي أفضل من جميع كنوز العالم، كانت تحس بأنها تهدي المحبّة والود لمحمدصلى الله عليه وآله، ولكن عوضاً عن ذلك كانت تكتسب منه جميع أبعاد السعادة».[٦]

نتأمل من جميع طبقات المجتمع وخاصةً النساء بأن تقتدي في كل مراحل الحياة بنمط حياة السيدة خديجةعليها السلام الغنية بالمعاني والقيم العالية، تلك الشمس الساطعة والتي لا تغرب أبدا، حتى تتذوق اللّذّة الانسانية بالطريقة التي وجدت، ولا يبدّلونها أو يصالحونها بأي شيءٍ آخر.

ولا ننسى القول بأن المقصود من «الاسطورة» ليس المعنى الرائج والشائع عند الغرب والمفكرين والذي هو صورة عن الخيال والامور الذهنية بل المقصود هو أنها حماسة عظيمة تحققت فيما وراء الذهن والخيال في العالم العيني والآخرين عاجزين عن ادراك كنهها.

نظّمنا الكتاب على ثلاثة فصول وذلك لنيل مطالبه بيسر وسهولة وهي الآتي:

الفصل الاول: السيدة خديجةعليها السلام من بداية الولادة الى بداية البعثة (خمسة وخمسين سنة).

الفصل الثاني: خديجةعليها السلام أول امرأة أسلمت، وتضحياتها في سبيل الاسلام (عشر سنوات).

الفصل الثالث: فضائل السيدة خديجةعليها السلام، أولادها، وصيّتها ووفاتها المؤلمة ومقاماتها.

السيد أبو القاسم الديباجي

الفصل الأول

السيدة خديجة عليها السلام
من الولادة وحتى بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

طلوع نجمة مضيئة في الجاهلية

في الجزيـرة العربيـة، في أرض مكـة وبجانب الجبـال كانت تعيش أسرة أصيلة تسـمى بـ «قريش»، وبسـبب الابتعاد عن مذهب الرسـل وتحكم الجهل والجاهلية والبرامج الملطّخة والغير نظيفة في ذلك العـصر، لم يكـن هناك أي أثر مـن القيم والاصول الاخلاقية، كل شيءٍ تـراه كان يخبرك عن التفرقات العنصريـة، الظلـم، الفسـق، الاختلافات، الحروب، القتـل، الاحقاد، الانانية والاهمـال، في مثل هذا المحيـط المظلم تـلألأت نجمة مـن زوج وزوجة (خويلد وفاطمـة)، هذه النجمة هي السـيدة خديجة الكبرى عليها السلام حيث فتحت عينها للعالم قبل خمسـة عشرة سنة من ولادة الرسول صلى الله عليه وآله (خمسة وخمسين سنة قبل البعثة).

يوم ولادتها غير معروف وغير واضح ولكن بالنسبة الى وفاتها، بناءا على النقل المعروف أنها توفت في السـنة العاشرة من البعثة، في اليوم العاشر من شـهر رمضان، وذلك بثلاثة أيام بعد وفاة أبو طالب عـمّ الرسـول صلى الله عليه وآله حيث توفيت وعمرها ٦٥ سنة، دفنها الرسول صلى الله عليه وآله في مقبرة حجون، الواقعة في أرض مكة، وكانت تكنى بـ «أم هند» بناءا على اسم أحد أبنائها والذي يسمى هند.(٧)

تزوجت هذه السـيدة العظيمة بالرسول صلى الله عليه وآله في سن الاربعين حيث كان عمر الرسول صلى الله عليه وآله آنذاك ٢٥ سـنة، وكانت أول امرأة أسـلمت في أول يوم من طلوع الاسلام، وكانت زوجة الرسول صلى الله عليه وآله لمدة خمسة وعشرين سـنة يعنى الى آخر عمرها الشريف، وعلى مدى الخمسـة والعشرين سـنة من الحياة المشتركة كانت دائما الصديقة والرفيقة القوية والمؤنسـة لرسول صلى الله عليه وآله ودائماً تؤثره على نفسها، لم تصدر منها أصغر أو أدنى كراهية للرسول صلى الله عليه وآله.

قالـوا عـن أوصاف وسـيماء السـيدة خديجـة عليها السلام: بأنهـا كانـت طويلـة، ذات أكتاف مربعـة، جميلة ووقورة.

كان أبو طالب يصفها في عصر الجاهلية ويقول: إن خديجة امرأةٌ كاملةٌ، ميمونةٌ فاضلةٌ تخشى العار وتحذر الشّنار.[٨]

والشيء الذي يجلب التوجه هو أن الامام الحسن المجتبى عليه السلام والذي كان يُضرب المثل به في جماله بين قبيلة بني هاشم، يقول في حديث له:

«... وكنتُ أنا أشبه الناس بخديجة الكبرى».[٩]

والآن ومع التوجه الى رؤوس الفصول، نبدأ بالمطالعة في حياتها المضيئة.

خديجة عليها السلام من أسرة الأكثر أصالة في الجزيرة العربية

كانت سلسلة نسب السيدة خديجة عليها السلام من جهة الأب التالي: «خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصّى بن كلاب».

قصّى بن كلاب هو الجدّ الرابع لرسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الترتيب: «محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصى بن كلاب».[١٠]

بناءاً على ذلك كانت السيدة خديجة عليها السلام بنت عم الرسول صلى الله عليه وآله، واتّحدت جذور أسرتها من أسرة قريش مع الرسول صلى الله عليه وآله عند جده الرابع.

ولذلك كانا أحيانا يخاطبان بعضهما البعض بابن العم وابنة العم.

وكانت سلسلة نسب السيدة خديجة عليها السلام من جهة الام التالي: «خديجة بنت فاطمة بنت زائدة بن أصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لُويّ بن غالب».

لُويّ بن غالب هو الجدّ الثامن لرسول الله صلى الله عليه وآله على هذا الترتيب:

«محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصّى بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُويّ بن غالب».[١١]

بناءا على ذلك تتحد وتتصل السيدة خديجة عليها السلام من جهة الام بالرسول صلى الله عليه وآله عند جدّه الثامن، ونتيجة لذلك تصل سلسلة نسب خديجة عليها السلام الى اسماعيل وابراهيم الخليل عليهما السلام، الجدّ الثامن والعشرون والتاسع والعشرون.

إن السيدة خديجة عليها السلام هي أخت عوام بن خويلد والد زبير، على ذلك فإن زبير هو ابن أخيها.

ومن جهة أخرى ومع الاخذ بعين الاعتبار أن صفية عمة الرسول صلى الله عليه وآله هي أم زبير، فإن زبير هو ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله.[١٢]

من الجهة الثالثة كانت هالة والدة فاطمة (أم خديجة) بنت عبد مناف الجدّ الثالث لرسول الله صلى الله عليه وآله،

ومن هنا أيضا اتصلت واتحدت سلسلة نسب السيدة خديجةعليها السلام بالجد الثالث لرسول اللهصلى الله عليه وآله.

والموضوع الآخر في هذا المجال هو أن ابن عم خديجةعليها السلام كان اسـمـه «ورقة بن نوفل»[١٣]، والذي كان مـن المفكّريـن في العرب، وقد خالف عبادة الاصنام قبل الاسـلام، وبدأ بالبحث عن الدين الحق حتى وصل أخيراً الى دين المسيحية واعتنقه، واكتسب علوم ومعارف واسعة في دين المسيحية.[١٤]

كانت السـيدة خديجة تحترمه احتراماً خاصاً، وتستشـيره في الامور المهمة، كما سيأتي ذكره، وكان له دور مهم في زواج خديجةعليها السلام بالرسولصلى الله عليه وآله، وكان يميل للاسلام ويرغب به باطنيا.

جدّ، والد، ابن عم، ابن وبنت خديجةعليها السلام

ذكرنا أن السيدة خديجةعليها السلام كانت تعيش قبل الزواج في أسرة أصيلة وشريفة، هنا نجلب انتباهكم الى شرحٍ قصير لخمسة أشخاص هم من أقرباء السيدة خديجةعليها السلام:

١- أسد جدّ السيدة خديجةعليها السلام

أسد بن عبد العزّى هو جدّ خديجةعليها السلام من جهة الأب وهو من أحد الشخصيات البارزة في عصره، جاء في التاريخ: أنه في حدود عشرين سنة قبل البعثة تم عقد مجلس من قبل جمعٌ من شخصيات مكة وكان بينهم «أسد بن عبد العزّى» وكان الهدف من ذلك المجلس هو المحافظة على أمن مكة وأطرافها، فتعاهدوا على أن يهتموا بحقوق المظلومين ويمنعوا ظلم الظالمين، وتم تسمية هذا التعاهد بـ «حلف الفضول» وذلك لأن ثلاثة من أعضاء المجلس الرئيسية كانت أسمائهم: «فضل بن فضاله» و «فضل بن وداعه» و «فضيل بن حارث».

وقد جاوز الرسولصلى الله عليه وآله العشرين عندما حضر حلف الفضول، وتم عقد هذا الحلف في بيت «عبدالله بن جدعان».

كان الرسولصلى الله عليه وآله يحترم هذا الحلف ويهتم به حيث كان يقول بعد البعثة: ولو دعيت إليه اليوم لأجبت.

وكان يقول أيضا: «لقد شهدت حلفاً ما أُحبُّ أنّ لي به حمُرُ النّعم».[١٥]

إن عضويّة أسد بن عبد العزّى بجانب الرسولصلى الله عليه وآله في حلف الفضول لحفظ حقوق المظلومين والتصدّي أمام ظلم الظالمين لدليل على أنه كان من العقلاء ومن محبّي الخير في عصره وأنه سعى سعياً بالغاً لحفظ أمن المجتمع.

٢- شجاعة خويلد والد خديجةعليها السلام

كان خويلد والد خديجةعليها السلام من الشخصيات المهمة في عصره، وكان يحتسب من الابطال والشجعان، ومن علامات شـجاعته هي أنه عندما دخل «تُبَع» القوي ملك يمن بجيشـه الى مكة واسـتولى عليها، وأراد أن يأخذ الحجر الاسود معه الى اليمن، فخالفه أهل مكة، كان خويلد في مقدمتهم حيث اعترض وتصدّى لأوامر تُبع بشـجاعة ونازعه وذلك لحفظ أحد مناسـك دينه، وبسـبب شجاعته انصرف تُبع عن قراره وتركه ولم يأخذ ذلك الحجر المقدس من مكانه.

أصبح موضوع فداءه متداول على لسـان كل الناس في ذلك الحين، وكان ينتقل وصف وشـجاعة خويلد من لسانٍ الى لسان، ويمدحونه ويمجّدونه في هذا الموقف.(١٦)

٣- ورقة بن نوفل العالم المتفكّر في ذلك العصر

من إحدى الشـخصيات البـارزة والتي كانت معروفة بعنوان العالم والمتفكّر المسـيحي في مكة ولها علوم ومعارف واسعة في الكتب السماوية هي «ورقة بن نوفل بن أسد» ابن عم السيدة خديجةعليها السلام (حيث كان في أكثـر المصـادر يعرّف بعم خديجةعليها السلام، ويحتمل ذلك لكونه متكفّل بالسـيدة خديجةعليها السلام، وكانت تخاطبه بعمها)، هذا الشخص كان المستشار الخير والممتاز لخديجةعليها السلام، وكما ذكرنا من قبل وسيأتي ذكره لاحقاً أنه كان له دور مهم في زواج السيدة خديجةعليها السلام بالرسولصلى الله عليه وآله وكان يميل للاسلام.

٤- هند الابن الشجاع لخديجةعليها السلام من زوجها زرارة

بنـاءا عـلى القـول المعروف بأنه كان للسـيدة خديجـةعليها السلام زوجان قبـل زواجها بالرسـولصلى الله عليه وآله وهما: «عتيق بن عائذ المخزومي» و «زرارة بن نباش الاسيدي»(١٧)، وكان لها بنت من عتيق وتسمى «هند»، وولـدان مـن زرارة (المعروف بأبي هالة) وهما: هالـة(١٨) وهند، لذلك كانت تكنى السـيدة خديجةعليها السلام بـ«أم هند».

أسـلمت هنـد بنت خديجةعليها السلام من عتيق بعد ظهور الاسـلام، وكانت تعد مـن إحدى الصحابيات الكبار والمخلصة لرسول اللهصلى الله عليه وآله.

كان هند بن أبي هاله مسـلم وشـجاع وهو من أحد أبناء خديجةعليها السلام وأخ السـيدة الزهراء سـلام الله عليهـا مـن الأم وقد ضحّى كثيرا في سـبيل نشر الاسـلام لأنه تربّى على يد الرسـولصلى الله عليه وآله(١٩) وسـنذكر الحادثة الآتية كمثال على ذلك:

١- رافق هند الرسولصلى الله عليه وآله في ليلة الهجرة من مكة الى المدينة حتى غار ثور، وهناك أمره الرسولصلى الله عليه وآله

بالرجـوع الى مكـة، فعاد الى مكة، وفي الليلة الثانية ذهب مع عليعليه السلام خفيةً الى الغار للقاء بالرسـولصلى الله عليه وآله فقال لهما الرسولصلى الله عليه وآله: اشترا جملين واستعدا للهجرة.[٢٠]

٢- شارك هند في معركة بدر وأحد وحارب الاعداء في رحاب الرسولصلى الله عليه وآله وأظهر تضحياته.

٣- كان هند بن أبي هالة من بعد الرسـولصلى الله عليه وآله من أصحاب أمير المؤمنين عليعليه السلام حتى استشـهد في رحاب أمير المؤمنين في حرب الجمل.[٢١]

٤- كان هنـد بـن خديجةعليها السلام بليـغ اللسـان وفصيـح التعبـير والبيـان حتـى قـال الامـام الحسـن المجتبىعليه السلام: سـألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسـول اللهصلى الله عليه وآله وكان وصّافا للنبيصلى الله عليه وآله، فقال (ببيان لطيف وبليغ):

كان رسول اللهصلى الله عليه وآله فخماً مفخماً، يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشـذب، عظيم الهامة رجل الشـعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شـعره شـحمة أذنيه، إذا هو وفرة، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما له عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسـبه من لم يتأمله أشـم، كث اللحية، سـهل الخدين، ضليع الفم، أشنب مفلج الاسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنا متماسكا، سواء البطـن والصـدر، بعيد ما بين المنكبـين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصـول ما بين اللبة والسرة بشـعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سـوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر، طويـل الزنديـن، رحـب الراحة، شـثن الكفين والقدمين، سـائل الاطراف، سـبط القصـب، خمصان الاخمصين، مسـيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذ زال زال قلعا، يخطو تكفؤا، ويمشي هونا، ذريع المشية، إذا مشـى كأنما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء، جل نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام.[٢٢]

إن الحديث السـابق يدل على أن هند بن خديجةعليها السلام كان صاحب ومؤنس الرسـولصلى الله عليه وآله كثيرا، وكان له توجه خاص بالرسولصلى الله عليه وآله وكأنه كان عاشقاً للرسولصلى الله عليه وآله.

وجـاء في الأقـوال: أن البعـض ادّعـى ان حـارث بـن أبي هالـة كان أول شـهيد مسـلم مـن أبنـاء خديجةعليها السلام.[٢٣]

خمسة ألقاب لخديجةعليها السلام قبل الاسلام وبعده

من الأقوال اللطيفة التي جاءت هي:

١- أن السـيدة خديجـةعليها السلام ذُكـرت قبـل الـولادة في الكتاب السـماوي الانجيل النازل على سـيدنا

عيسىؑ بأنها «سيدة مباركة وضرّة السيدة مريم في الجنّة»، وذلك عندما جاء الخطاب لعيسىؑ في توصيف رسول الاسلامﷺ بالتالي:

نسله من مباركة، وهي ضرّة أمّك في الجنّة.(٢٤)

وجاء في الحديث الذي دار بين خديجةؑ وابن عمها ورقة بن نوفل أنه قال: قرأت في التوراة والانجيل أن الله سبحانه وتعالى يبعث نبياً في هذا الزمان يكون يتيماً فيؤويه الله، وفقيراً فيغنيه الله، تكفله امرأة من قريش أكثرهم حسباً.(٢٥)

٢- وأيضا في عصر الجاهلية كانت هناك قلّة من النساء اللاتي كن عفيفات وشريفات وأغلبهن كن مبتليات وملطّخات بانحرافات العصر الجاهلي، فكانت السيدة خديجةؑ تلقّب بالطّاهرة وذلك لقداستها وطهارتها في جميع الأبعاد.(٢٦)

٣- كانت السيدة خديجةؑ أيضا موضع احترام الخاص والعام في ذلك العصر لذلك كانوا يلقّبونها بـ«سيّدة النسوان».(٢٧)

٤- حديث قصير: كانت السيدة خديجةؑ سيدة وقورة ونجيبة الى درجة أنه لم يكن لها نظير في النساء في الجاهلية من ناحية الكمالات والقيم الانسانية العالية، لذلك كان الرسولﷺ يلقّبها بـ«الكبرى».(٢٨)

كانت خديجةؑ سيدة عاقلة وفهيمة وذكية ولبيبة، وكان الرسولﷺ يستشيرها في أعماله، فقد كانت في جميع الاحوال المستشارة والمساعدة والوزيرة للرسولﷺ.(٢٩)

٥- وقد ذُكرت السيدة خديجةؑ في دعاء الندبة والذي نقل من الجهة المقدّسة بأنها «خديجة الغراء»، وكلمة الغراء تعني الشامخة والوقورة والنجيبة.

وجاء طبقا للروايات أن أبي طالب وصف السيدة خديجةؑ في خطبة عقد الزواج بالتالي:

إنّ ابن أخينا خاطبٌ كريمتكم الموصوفة بالسّخاء والعفّة، وهي فتاتكم المعروفة المذكورة فضلها الشامخ خطبها.(٣٠)

خديجةؑ الشخصية العاطفية

كانت لخديجةؑ شخصية عالية وقيّمة في جميع الابعاد الانسانية المتعددة، منها أنها كانت لديها شخصية عاطفية ممتازة.

كانت تحب المستضعفين محبة خاصة، ذات يوم عندما كان الرسولﷺ شابا تولى أمور خديجةؑ التجارية وبدأ بأعمال التجارة مع صاحبه والذي كان قرشيا في سوق تهامة، فأمرت السيدة خديجةؑ

بإرسال الطعام لمحمدصلى الله عليه وآله وصاحبه بدون أي تعهد سابق بذلك، وكان الرسولصلى الله عليه وآله يشكر لطفها ومحبتها، وهذا يدل على أن للسيدة خديجةعليها السلام شخصية عاطفية عالية جداً.

لذلك لم ينس الرسولصلى الله عليه وآله هذا الموقف العاطفي أبداً، وكان يذكرها أحيانا ويقول:

ما رأيتُ من صاحبةٍ لأجيرٍ خيراً من خديجة، ما كنّا نرجعُ أنا وصاحبي الا وجدنا عندها تُحفةً من طعامٍ تخبأه لنا.[٣١]

الايمان القلبي لخديجةعليها السلام لظهور الاسلام قبل الزواج

من خصائص السيدة خديجةعليها السلام هي: أنها كانت مطمئنة لظهور الاسلام وذلك بسبب اتصالاتها بالعلماء المسيحيين وأهل الكتاب مثل ابن عمّها ورقة بن نوفل والذي كان من علماء ورهبان المسيحية ولديه العلم والمعرفة بالكثير من العلوم الواسعة في الكتب السماوية وبشاراتها بظهور رسول آخر الزمانصلى الله عليه وآله، وأيضا بسبب الأحلام التي كانت تحلم بها خديجةعليها السلام شخصيا وكانت تعرف بأنه سيظهر نبي في مكّة، وستظهر شمس وجوده للعالم، لذلك كانت من المنتظرين لظهوره، حتى تنتظم وتستقر في ظله الأمور الاجتماعية والعلمية والأخلاقية الغير المستقرة في المجتمع، وينقذ الناس من الضلالة ومن مصائب مذاهب الجاهلية الملطّخة.

لذلك كانت تسأل العلماء وابن عمها ورقة عن دلائل وعلامات ذلك النبي كراراً، ولهذا السبب عندما أرادت الزواج من الرسولصلى الله عليه وآله قررت أن تسأل عن مهر النّبوة والتي كانت من العلامات الظاهرة لنبّوة محمدصلى الله عليه وآله، وزارته[٣٢]، وفي الحقيقة تزوجت محمدصلى الله عليه وآله بكل معرفة وعقلانية، وجعلت كل وجودها فداءاً له ولهدفه.

خديجةعليها السلام الأديبة العارفة واللبيبة

من خصائص السيدة خديجةعليها السلام أنها كانت تمتلك الذكاء والعقل والتدبير الكثير، وفي ذلك العصر (عصر الجاهلية) الذي سيطر فيه الجهل والأمّية على كل مكان، خاصةً على النساء اللاتي كن من وجهة نظرهم موجودٌ بين الإنسان والحيوان، وكن محرومات من كل مزايا الحياة ومطرودات عنها، كانت السيدة خديجةعليها السلام ذات كمال وأدب وإيمان وعقل بمستوى عالٍ.

كما أن الأشعار والقصائد التي كانت تنشدها خديجةعليها السلام قبل خمسة عشرة سنة من البعثة والمشحونة باللطائف الأدبية والمعنوية في شأن الرسولصلى الله عليه وآله، لهي شاهدة حيّة على ذلك المطلب.

إن أشعارها كثيرة، وهنا نلفت نظركم الى مقاطع من بعض أشعارها:

أنشدت السيدة خديجةعليها السلام عند لقائها بمحمدصلى الله عليه وآله بعد رجوعه من سفره التجاري للشام وقالت:

فلو أنني أمسيت في كل نعمةٍ
ودامت لي الدنيا ومُلك الاكاسرة
فما سويت عندي جناح بعوضةٍ
اذا لم تكن عيني بعينك ناظرة

وفي الحقيقة هذا الشعر يشبه الرباعية المعروفة:

أي مصحف آيات الهي رويت
وي سلسله أهل ولايت مويت
سر جشمه زندكي لب دلجويت
محراب نماز عارفان أبرويت
يا من وجهك كمصحف الآيات الالهية
وشعرك سلسلة أهل الولاية
وشفاهك اللطيفة نبع الحياة
وحاجبك محراب صلاة العارفين

وتقول السيدة خديجةعليها السلام في شعر آخر:

دنى فرمى من قوس حاجبه سهماً
فصادفني حتى قُتلتُ به ظلماً
وأسفر عن وجهٍ وأسبل شعره
فبات يُباهي البدرُ في ليلةٍ ظلماً(٣٣)

ثروة خديجةعليها السلام الغير محدودة

من إحدى خصائص السيدة خديجةعليها السلام هي أنها كانت من الأغنياء والأثرياء والتي ليس لها نظير في عصرها وأغنى أهل مكة وكل ذلك كان بسبب تدبيرها السليم وسعيها في التجارة والأمور الاقتصادية. وقد أنفقت كل ثروتها في سبيل تحقيق أهداف الاسلام، كانت ثروتها مهمة جداً في تقدم دعوة الاسلام ونشرها حتى أنه قال الرسولصلى الله عليه وآله: ما نفعني مالٌ قطُّ مثل ما نفعني مال خديجة.(٣٤)

وقد بين المحدّثون والمؤرخون والمحلّلون أن من عوامل كثرة ووفرة ثروة خديجةعليها السلام هي:

أنها كانت امرأة ذكية ولبيبة، وعلاوةً على ثروتها العالية، فقد حصلت على إرث من زوجيها(٣٥)

بعد وفاتهما حيث تركا لها أموالا طائلة، ولم تركد ثروتها بل قامت باستثمارها بإرسال قوافل تجارية الى اليمن والشام وأعطت ثروتها بتدبير خاص الى عدد من الأثرياء المشهورين بعنوان المضاربة، ومن جهة أخرى كان لعبيدها الكثير دور مهم في حركة القافلات والأمور التجارية.

تلك العوامل أدّت إلى زيادة ثروة خديجةعليها السلام يوما عن يوم، لدرجة أن ثمانين ألف من الجمال كانت تسافر وتحمل وتنقل أموالها التجارية بقافلات متعددة الى المراكز الاقتصادية في العالم في تلك الأيام ومنها اليمن، مصر، الشام، الطائف، العراق، البحرين، عمّان، الحبشة، فلسطين و..... وغيرها.

وقد لخّص المحلّلون مظاهر ثروة خديجةعليها السلام في الثلاث موارد الآتية:

١- كانت ثمانين ألف جمل تسافر بأموالها التجارية الى أطراف وأكناف الجزيرة العربية وخارجها كمصر والحبشة والروم والشام و..... وغيرها من الأمصار.

٢- أحيانا كانت الحمولة حرير أزرق، فكانت تربط بحبال أبريسم وتبنى بها قبّة على سطح دارها الجليل وتستقبل بها النساء والرجال وتساعد المحتاجين منهم بمساعدات لائقة ومناسبة.

٣- كانت أربعمائة عبيد وجواري تحت إشرافها وذلك لتنظيم أمور حياتها والاهتمام بها، وكانوا يديرون الإدارة العريضة والطويلة لحياة خديجةعليها السلام.

كانت ثروة الأثرياء في ذلك العصر مثل: أبو جهل، عقبة بن أبي معيط، صلت بن أبي يهاب، ابو سفيان و... وغيرهم لا شيء مقابل ومقارنةً بثروة خديجةعليها السلام.[(٣٦)]

وكما جاءت في الروايات أنه كان لخديجة دار واسعة تسع أهل مكة جميعاً، وقد جعلت أعلاها قبّة من الحرير الأزرق، وقد رقمت في جوانبها صفة الشمس والقمر والنجوم، وقد ربطته من حبال الابريسم وأوتاد من الفولاذ وكان لها جلال خاص وعظمة خاصة.

وقد خطبها شخصيات معروفة في ذلك العصر مثل عقبة بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب وكان لكل واحد منهما أربعمأة عبد وأمة، وخطبها أبو جهل بن هشام وأبوسفيان ولم ترغب خديجةعليها السلام فيهم ورفضتهم.[(٣٧)]

بداية انتقال محبّة الرسولصلى الله عليه وآله الى قلب خديجةعليها السلام

مرّ النبيصلى الله عليه وآله يوما بمنزل خديجة بنت خويلد، وهي جالسة في ملأ من نسائها وجواريها وخدمها، وكان عندها حبر من أحبار اليهود، فلما مرّ النبيصلى الله عليه وآله نظر إليه ذلك الحبر وقال: يا خديجة اعلمي أنه قد مرّ الآن ببابك شاب حدث السن، فأمري من يأتي به.

فأرسلت إليه جارية من جواريها، وقالت: يا سيدي مولاتي تطلبك.

فأقبل ودخل منزل خديجةعليها السلام، فقالت: أيها الحبر هذا الذي أشرت إليه.

قال: نعم هذا محمد بن عبد الله.

قال له الحبر: اكشف لي عن بطنك.

فكشف له، فلما رآه قال: هذا والله خاتم النبوة.

فقالت له خديجةعليها السلام: لو رآك عمه وأنت تفتشه لحلّت عليك منه نازلة البلاء، وإن أعمامه ليحذرون عليه من أحبار اليهود.

فقال الحبر: ومن يقدر على محمّد هذا بسوء، وهذا وحقّ الكليم رسول الملك العظيم في آخر الزمان، فطوبى لمن يكون له بعلا، وتكون له زوجة وأهلا، فقد حازت شرف الدنيا والآخرة.

فتعجبت خديجةعليها السلام، وانصرف محمدصلى الله عليه وآله واشتغل قلب خديجةعليها السلام بحبّه، وكانت خديجة ملكة عظيمة، وكان لها من الأموال والمواشي شيء لا يحصى، فقالت: أيها الحبر بم عرفت محمداً أنه نبي؟

قال: وجدت صفاته في التوراة، إنه المبعوث آخر الزمان، يموت أبوه وأمه، ويكفله جدّه وعمه، وسوف يتزوج بامرأة من قريش سيدة قومها وأميرة عشيرتها.

وأشار بيده الى خديجة عليها السلام، ثم بعد ذلك قال لها: احفظي ما أقول لك يا خديجة، وأنشأ يقول:

يا خديجة لا تنسي الآن قولي
وخذي منه غاية المحصول
يا خديجة هذا النبي بلا شك
هكذا قد قرأت في الانجيل
سوف يأتي من الاله بوحي
ثم يحبى من الاله بالتنزيل
ويزوجه بالفخار ويحظى
في الورى شامخاً على كل جيل

فلما سمعت خديجة ما نطق به الحبر تعلّق قلبها بالنبيصلى الله عليه وآله، وكتمت أمرها فلما خرج من عندها قال: اجتهدي أن لا يفوتك محمد، فهو الشرف في الدنيا والآخرة.(٣٨)

بشارة ورقة بن نوفل والعالم اليهودي

كان ورقة بن نوفل ابن عم خديجةعليها السلام وقد قرأ الكتب السماوية كلها، وكان عالماً حبراً، وكان يعرف

صفات النبي الخارج في آخر الزمان، وكان عند ورقة أنه يتزوج بامرأة سيدة من قريش، تسود قومها، وتمكّنه من نفسها، وتساعده على كل الأمور، فعلم ورقة أنه ليست بمكة أكثر مالا من خديجة، فرجى ورقة أن تكون ابنة أخيه خديجةعليها السلام، وكان يقول لها: يا خديجة سوف تتصلين برجل يكون أشرف أهل الأرض والسماء.[٣٩]

في أحد الأعياد، اجتمعت نساء قريش في المسجد الحرام، فإذا هن بيهودي يقول: ليوشك أن يبعث فيكن نبي، فأيّكن استطاعت أن تكون له أرضاً يطأها فلتفعل، فحصبنه[٤٠]، ففر اليهودي وقر ذلك القول في قلب خديجةعليها السلام، لذلك كانت خديجةعليها السلام تنتظر أن تنال هذا الشرف.[٤١]

أحلام خديجةعليها السلام المبشّرة

في هذه الأيام رأت خديجةعليها السلام حلمٌ عجيب، فذهبت الى ابن عمها ورقة بن نوفل وأخبرته بالحلم وقالت: «رأيت في المنام أن القمر قد سقط من السماء بجانبي، ثم انقسم الى سبعة أقسام».

قال ورقة: «سوف يتزوجك نبي آخر الزمان وستنالين شرف الزواج به وسترزقين منه سبعة أبناء».[٤٢]

وأيضا قالت: «رأيت في المنام أن الشمس دارت فوق الكعبة ونزلت في داري».

قال ورقة: «سوف تتزوجين قريبا من رجل عظيم وسوف يشتهر عالمياً».[٤٣]

فاطمأنّت خديجةعليها السلام من هذه البشارات التي كانت تصلها في الاحلام وفي اليقظة بأنها ستنال هذه السعادة العظيمة، لذلك كانت تنتظر الفرصة المناسبة حتى تعد مقدّمات الزواج، وتصل الى الافتخار الذي ليس له نظير وكأن قد ضاع منها شيء وتبحث عنه.

قصة سفر الرسولصلى الله عليه وآله بقافلة خديجةعليها السلام الى الشام

جاء قولان في قصة سفر الرسولصلى الله عليه وآله بقافلة خديجةعليها السلام إلى الشام وهما:

١- بأن هذه السفرة تمت باقتراحٍ من خديجةعليها السلام.

٢- بأنها تمت باقتراحٍ من أبي طالب عم الرسولصلى الله عليه وآله.

ولكن يتضح أن القول الأول هو الأصح وهنا نلفت انتباهكم إلى القولين:

١- جاء في كتاب سيرة ابن هشام التالي:

كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إيّاه بشيءٍ تجعله لهم منه، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول اللهصلى الله عليه وآله من صدق حديثه وعظيم

أمانتـه وكـرم أخلاقـه، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخـرج في مالها تاجرا الى الشـام، وتعطيه أفضل ما كانـت تعطـي غيره من التجـار، مع غلام لها يقال له ميـسرة، فقبله منها رسـول اللهصلى الله عليه وآله وخرج في مالها ذلك، ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشـام[٤٤]، فنزل رسـول اللهصلى الله عليه وآله في ظل شـجرة قريبا من صومعة راهب، فاطّلع الراهب الى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟[٤٥]

فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم باع رسـول اللهصلى الله عليه وآله سـلعته التي خرج فيها، واشـترى ما أراد أن يشـتري، ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة، قال ميسرة: إذا كانت الهاجرة[٤٦] واشتدّ الحرّ نزل ملكان يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره.

فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا، وحدّثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملكين، فبعثت الى رسول اللهصلى الله عليه وآله فقالت له: يا بن عم قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك وسطتك[٤٧] فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك وصدق حديثك.

ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة امرأة حازمة ولبيبة، فذكر رسول اللهصلى الله عليه وآله ما قالت لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها رسول الله صلـى الله عليه وآله وسلم.[٤٨]

٢- جاء ذكر زواج محمدصلى الله عليه وآله بخديجةعليها السلام في كتب الشيعة على نحوٍ آخر وخلاصته هي:

كان أبو طالب رضي الله عنه قد كبر وضعف عن كثرة السفر، وترك ذلك من حيث كفل النبيصلى الله عليه وآله، فدخل عليه النبيصلى الله عليه وآله ذات يوم فوجده مهموماً، فقال: ما أراك يا عم مهموماً؟

فقـال: يـا ابن أخـي اعلم أنه لا مال لنا، وقد اشـتدّ الزمـان علينا، وليس لنا مـادة، وأنا قد كبرت، وضعـف جسـمي، وقل مـا بيدي، وأريد أن انـزل إلى ضريحي، وأريد أن أرى لـك زوجة تسرّ قلبي يا ولدي لتسكن إليها، ومعيشة يرجع نفعها إليك.

فقال له النبيصلى الله عليه وآله: ما عندك يا عم من الرأي؟

قال: اعلم يا بن أخي أن هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بمالها أكثر الناس، وهي تعطي مالها سائر مـن يسـألها التجارة، ويسـافرون به، فهل لك يا بن أخـي أن تمضي معي إليها ونسـألها أن تعطيك مالا تتجر به.

فقال: نعم، قم إليها وافعل ما بدا لك.

فقام أبو طالب مع أخوته وساروا الى دار خديجةعليها السلام، وأخبروها بذلك.

فرحبّت بهم خديجة عليها السلام ترحيباً جليلاً ولائقاً بهم، ثم قالت: يا سيدي أين محمد حتى نسمع ما يقول؟

قال العباس رضي الله عنه عم الرسول صلى الله عليه وآله: أنا آتيكم به.

فنهض وسار يطلبه وبعدما بحث عنه كثيراً وجده وجاء به الى دار خديجة عليها السلام.

فرحبّت خديجة عليها السلام لقدوم محمد صلى الله عليه وآله وبعد الحديث عن شأنه العظيم قالت: أترضى أن تكون أمينا على أموالي تسير بها حيث شئت؟

قال: نعم رضيت، ثم قال: أريد الشام.

قالت: ذلك إليك، وإني قد جعلت لمن يسير على أموالي مائة أوقية من الذهب الاحمر، ومائة أوقية من الفضة البيضاء، وجملين وراحلتين.

وتم تجهيز القافلة التجارية وجاءت خديجة عليها السلام شخصياً عند القافلة، وقالت لميسرة والذي جعلته كفيلاً على القافلة[٤٩] ووصّته برسول الله وقالت: اطع أوامر محمد صلى الله عليه وآله ولا تفعل خلاف أمره.

وودّع الرسول صلى الله عليه وآله خديجة عليها السلام وأعمامه وركب راحلته وخرج، ووصلت القافلة الشام دون أي تأخير وحتى أسرع من المعتاد، مرّت القافلة على صومعة الراهب المسيحي «نسطور» وتوقفت عند شجرة كانت هناك، فذهب محمد صلى الله عليه وآله الى تلك الشجرة وجلس تحتها.

وكان ميسرة معه بناءاً على أوامر سيدته حيث أمرته بأن لا يفارقه، فجأة سمع صوت نسطور يناديه باسمه.

ميسرة: نعم.

نسطور: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟

ميسرة: هذا رجل من قريش ومن أهل مكة.

نسطور: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم وصى ميسرة والقافلة بالرسول صلى الله عليه وآله وأخبرهم عن نبوّة الرسول صلى الله عليه وآله في المستقبل.[٥٠]

ثم قال نسطور لميسرة: طاوعه في أوامره ونواهيه فإنه نبيّ، والله ما جلس هذا المجلس بعد عيسى عليه السلام أحد غيره، ولقد بشر به عيسى عليه السلام، ومبشّراً برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وهو يملك الارض بأسرها[٥١].

ثم باع الرسول صلى الله عليه وآله سلعته واشترى ما أراد، وربحت القافلة ربحاً كثيراً، ثم عادت الى مكة. أثناء الطريق قام ميسرة بحساب الارباح فوجد أنهم قد ربحوا كثيراً في هذه السفرة فجاء الى الرسول صلى الله عليه وآله: إننا منذ سنين ونحن نتاجر لخديجة عليها السلام ولم نربح في أية منها كما ربحنا في هذه السفرة، إنني سعيد لهذا

وأتمنى أن نصل الى مكة حتى أخبر خديجةعليها السلام بذلك.

عندما وصلت القافلة الى «مرّ الظهران» جاء ميسرة الى الرسولصلى الله عليه وآله وقال له ميسرة: لو تقدّمت يا محمد إلى مكة، وبشّرت خديجة بما قد ربحنا لكان أنفع لك.

فتقدّم محمد على راحلته، فكانت خديجة في ذلك جالسة في غرفة مع نسوة، فظهر لها محمد راكبا، فنظرت خديجة إلى غمامة عالية على رأسه تسير بسيره، ورأت ملكين عن يمينه وعن شماله، في يد كل واحد سيف مسلول، يجيئان في الهواء معه، فقالت: إن لهذا الراكب لشأناً عظيماً ليته جاء إلى داري، فإذا هو محمدصلى الله عليه وآله قاصد لدارها.

فنزلت حافية إلى باب الدار، وكانت إذا أرادت التحول من مكان الى مكان حولت الجواري السرير الذي كانت عليه، فلما دنت منه قالت: يا محمد اخرج واحضرني عمّك أبا طالب السّاعة، وقد بعثت إلى عمها ورقة أن زوّجني من محمد إذا دخل عليك، فلما حضر أبوطالب قالت: اخرجا الى عمي ليزوّجني من محمد فقد قلت له في ذلك.

فدخلا على عمها، وخطب أبو طالب الخطبة المعروفة، وعقد النكاح، فلما قام محمدصلى الله عليه وآله ليذهب مع أبي طالب قالت خديجة: إلى بيتك، فبيتي بيتك، وأنا جاريتك.[٥٢]

مقاطع للقراءة عن سفر الرسولصلى الله عليه وآله التجاري من مكة إلى الشام وعودته

نفهم من الروايات أن سفر محمدصلى الله عليه وآله في قافلة خديجةعليها السلام إلى الشام للتجارة لم يكن عاديّاً، وقد حصلت في هذه السفرة العديد من المعجزات والكرامات وحوادث شيّقة.

لتوضيح هذا المطلب وكنموذج نلفت انتباهكم الى عدة مقاطع من سفره:

١ – بعدما تحدثت خديجةعليها السلام مع أبي طالب بشأن السفر التجاري لمحمدصلى الله عليه وآله وبعد أخذ موافقته ورضائه، قالت لميسرة: يا ميسرة، ايتني ببعير حتى أنظر كيف يشدّ عليه محمد، فخرج ميسرة وأتى ببعير شديد المراس، قوي الباس، لم يجسر أحد من الرعاة أن يخرجه من بين الإبل لشدة بأسه، فأدناه ليركبه فهدر وشقشق واحمرّت عيناه، فقال له العباس: ما كان عندك أهون من هذا البعير؟ تريد أن تمتحن به ابن أخينا؟

فعند ذلك قال النبيصلى الله عليه وآله: دعه يا عم، فلما سمع البعير كلام البشير النذير برك على قدمي النبيصلى الله عليه وآله وجعل يمرغ وجهه على قدمي النبيصلى الله عليه وآله ونطق بكلام فصيح وقال: من مثلي وقد لمس ظهري سيد المرسلين؟

فقلن النسوة اللاتي كن عند خديجةعليها السلام: ما هذا إلا سحر عظيم قد أحكمه هذا اليتيم.

قالت لهم خديجة عليها السلام: ليس هذا سحراً، وإنما هو آيات بيّنات وكرامات ظاهرات، ثم قالت:

نطق البعير بفضل أحمد فخبرا
هذا الذي شرفت به أم القرى
هذا محمد خير مبعوث أتى
فهو الشفيع وخير من وطأ الثرى
يا حاسديه تمزقوا من غيظكم
فهو الحبيب ولا سواه في الورى

٢- كان الرسول صلى الله عليه وآله يرتدي لباساً بسيطاً، فقالت له خديجة: يا سيدي ما معك غير هذه الثياب، فليست هذه تصلح للسفر.

فقال: لست أملك غيرها.

فبكت خديجة وقالت: عندي يا سيدي ما يصلح للسفر، غير أنهن طوال فامهل حتى اقصرها لك.

فقال: هلمي بها، وكان صلى الله عليه وآله إذا لبس القصير يطول وإذا لبس الطويل يقصر، كأنه مفصّل عليه، فأخرجت له ثوبين من قباطي مصر، وجبّة عدنية وبردة يمانية، وعمامة عراقية، وخفين من الأديم، وقضيب خيزران، فلبس النبي صلى الله عليه وآله الثياب وخرج كأنه البدر في تمامه، فلما نظرت إليه جعلت تقول:

أوتيت من شرف الجمال فنونا
ولقد فتنت بها القلوب فتونا
قد كونت للحين فيك جواهر
فيها دعيت الجوهر المكنونا
يا من اعار الظبي في لفتاته
للحسن جيدا ساميا وجفونا
إنظر الى جسمي النحيل وكيف وقد
أجريت من دمع العيون عيونا
أسهرت عيني في هواك صبابة
وملئت قلبي لوعة وجنونا[٥٣]

٣- ثم قالت: يا سيدي عندك ما تركب عليه؟

قال: إذا تعبت ركبت أي بعير أردت.

قالت: وما يحملني على ذلك؟ لا كانت الاموال دونك يا محمد.

ثم قالت لعبدها ميسرة: إيتيني بناقتي الصهباء حتى يركبها سيدي محمد، فأتى بها ميسرة وهي تزيد على الأوصاف، لا يلحقها في سيرها تعب، ولا يصيبها نصب، كأنها خيمة مضروبة، أو قبة منصوبة، ثم التفتت إلى ميسرة وناصح وقالت لهما: اعلما أنني قد أرسلت إليكما أمينا على أموالي، وأنه أمير قريش وسيدها، فلا يد على يده، فإن باع لا يمنع، وترك لا يؤمر، وليكن كلامكما له بلطف وأدب، ولا يعلو كلامكما على كلامه.

قال عبدها ميسرة: والله يا سيدتي إن لمحمد عندي محبة عظيمة قديمة، والآن قد تضاعفت لمحبتك له.

ثم إن النبيصلى الله عليه وآله ودع خديجة وركب راحلته وخرج وميسرة وناصح بين يديه، وعين الله ناظرة إليه، فعندها قالت خديجة شعراً:

قلب المحب الى الاحباب مجذوب
وجسمه بيد الأسقام منهوب
وقائل كيف طعم الحب قلت له
الحب عذب ولكن فيه تعذيب
أفدي الذين على خدي لبعدهم
دمي ودمعي مسفوح ومسكوب
ما في الخيام وقد سارت ركابهم
إلا محب له في القلب محبوب
كأنما يوسف في كل ناحية
والحزن[٥٤] في كل بيت فيه يعقوب[٥٥]

٤- فتوجهت القافلة إلى الشام فلما كانت بحيال «بحير» الراهب نزلوا بفناء ديره، وكان عالما بالكتب وقد كان قرأ في التوراة مرور النبيصلى الله عليه وآله به، وعرف أوان ذلك، فأمر فدعي إلى طعامه، فأقبل يطلب الصفة في القوم فلم يجدها، فقال: هل بقي في رحالكم أحد.

فقالوا: غلام يتيم، فقام بحير الراهب فاطلع فإذا هو برسول اللهصلى الله عليه وآله نائم وقد أظلته سحابة، فقال للقوم: ادعوا هذا اليتيم ففعلوا، وبحير مشرف عليه وهو يسير والسحابة قد أظلته، فأخبر القوم بشأنه وأنه سيبعث فيهم رسولا وما يكون من حاله وأمره، فكان القوم بعد ذلك

يـهابونـه ويجلونـه، فلما قدموا أخبروا قريشـا بذلك، وكان معهم عبد خديجـة بنت خويلد، فرغبت في تزويجه وهي سـيدة نسـاء قريش، وقد خطبها كل صنديد ورئيس قد أبتهم، فزوجته نفسها بالذي بانها من خبر بحير.[٥٦]

٥- عندما وصل الرسـول صلى الله عليه وآله مع قافلة خديجة عليها السلام في سـيرهم الى الشام والى صومعة أحد الرهبان، نـادى الراهـب ميسرة بعد تأكّده مـن علامات نبـوّة محمّد صلى الله عليه آلـه وقال له: يـا ميسرة، اقرأ مولاتك منّي السّـلام، واعلم أنها قد ظفرت بسـيد الأنام، وأنه سـيكون لك شأن من الشأن، وتفضّل على سـائر الخاص والعام، واحذرها أن تفوتها القرب من هذا السـيد، فإن الله تعالى سيجعل نسلها من نسله، وتبقى ذكرها إلى آخر الزمان، ويحسدها عليه كل أحد، واعلمها أنه لا يدخل الجنّة إلا من يؤمن به، ويصدّق برسالته، وأنّه أشرف الأنبياء وأفضلهم، وأصفاهم سريرة، واحذر عليه من أعدائه اليهود في الشام حتى يعود إلى بيت الحرام.

ثم ودّع الراهب وخرج النّبي صلى الله عليه وآله ولحق بالقوم، وسـاروا من وقتهم وسـاعتهم الى أن نزلوا بأرض الشـام وحطّوا رحالهم، فبادر أهل المدينة، واشـتروا بضاعتهم، وباعت قريش بضائعها بأغلى الأثمان، في أحســن بيـع، وأما مـا كان من النبي صلى الله عليه وآله فإنه لم يبع شـيئاً من بضاعته، فقال أبـو جهل: والله ما رأت خديجة سـفرة أشـام من هذه، لم يبع من بضاعته شيئاً، فلما أصبح الصباح نادى العرب، فلما أقبلت من كل جانـب ومـكان يريدون البضائع، فلم يجدوا إلا بضائع خديجة، فباعها النبيّ صلى الله عليه وآله بأضعاف ما باعت قريش، فاغتم أبو جهل لذلك غمّا شديداً،....

كان الربـح في هذه السـفرة ربحاً كثيراً حيث قال ميسرة للرسـول صلى الله عليه وآله: إن القافلـة عادةً تطوي هذه الشـعاب في عدة أيام ولكن بك طوت القافلة هذه الشـعاب بليلة واحدة، وقد ربحنا في هذه السـفرة ربحـاً لم نربحـه منذ أربعين سـنة، يا محمد، إن كل ذلـك من بركة قدومك الـذي كان من نصيب قافلة خديجة عليها السلام.[٥٧]

٦- كان خويلد والد خديجة عليها السلام يرغب أن يزوّج ابنته بشـخص ثريّ، لذلك لم يكن يميل الى زواج خديجة عليها السلام بمحمد صلى الله عليه وآله.

وكانـت خديجـة عليها السلام المتيّمة بجمال وكمال محمـد صلى الله عليه وآله تبحث عن الفرصة المناسـبة لتليين قلب والدها نحو محمد صلى الله عليه وآله.

عنـد عـودة قافلـة خديجـة عليها السلام التجارية الى مكة، نظـرت خديجـة الى جمالها وقد أقبلـت كالعرائس، وكانـت معتـادة أن يموت بعض جمالها ويجرب بعضها إلا في تلك السـفرة فإنها لم تنقص منها شـعرة، فوقـف قريـش متعجّبين من تلك الجمال، كلما مرّ بهم جمـل كان بإزائه نـاقـة هـيفاء فيقولون: لمن هذا؟

فيقال هذا ما أفاده محمّدﷺ لخديجة من الشام، فذهلت عقول قريش لذلك، فلما اجتمعت أموال خديجة فكّوا رحالهم، وعرضوا الجميع على خديجة وكانت جالسة خلف الحجاب، والنبيﷺ جالس وسط الدار، وميسرة يعرض عليها الأمتعة شيئاً فشيئاً، فنظرت خديجة الى ذلك وقد أدهشها، فبعثت إلى أبيها تعرّفه ذلك، وترغّبه في محمّدﷺ، فلم تك إلا ساعة واحدة وإذا بخويلد قد أقبل ودخل منزل ابنته خديجة، وهو متزيّن بالثياب، متقلد سيفاً، فلما نظرت إليه قامت وأجلسته إلى جنبها، وابتدأته بالترحيب، وجعلت تعرض عليه البضائع، وهي تقول: يا أبت هذا كله ببركة محمّدﷺ، والله يا أبتاه إنه مبارك الطّلعة، ميمون الغرّة فما ربحت ربحاً أغنم من هذه السفرة.

ثم التفت إلى ميسرة وقالت: حدّثني كيف كان سفركم؟ وما الذي عاينتم من محمّدﷺ؟

قال: يا سيّدتي وهل أطيق أن أصف لك بعضاً من صفاته وما عاينت منهﷺ؟ ثم أخبرها بالمعجزات والكرامات التي رآها وما أخبره الراهب وما أوصاه الى خديجة.

فقالت: حسبك يا ميسرة، لقد زدتني شوقاً إلى محمّدﷺ، إذهب فأنت حرّ لوجه الله وزوجتك وأولادك، ولك عندي مائتا درهم، وراحلتان.

وخلعت عليه خلعة سنية، وقد امتلأ سروراً وفرحاً، ثم إن خديجة التفتت إلى النبيﷺ وتحدّثت معه وجّللته كثيراً، وأعطته خيراً زيادةً على ما كان بينهما، ثم جعلت تقول شعراً:

فلو أنني أمسيت في كل نعمة
ودامت لي الدّنيا وملك الأكاسرة
فما سويت عندي جناح بعوضة
اذا لم يكن عيني لعينك ناظرة[٥٨]

٧- قال ميسرة لمحمدﷺ عند عودتهم من الشام الى مكة بالقافلة: يا محمد، لقد جزنا عقبات بليلة كنا نجوزها بأيام كثيرة، وربحنا في هذه السفرة ما لم نربح من أربعين سنة ببركتك يا محمد، فاستقبل خديجة، وأبشرها بربحنا.

وكانت وقتئذ جالسة على منظرة لها، فرأت راكبا على يمينه ملك مصلت سيفه، وفوقه سحابة معلق عليها قنديل من زبرجدة، وحوله قبة من ياقوتة حمراء فظنت ملكا يأتي بخطبتها وقالت: اللهم إلي والى داري، فلما أتى كان محمداً وبشّرها بالارباح، فقالت: وأين ميسرة؟

قال: يقفو أثري.

قالت: فارجع إليه وكن معه، ومقصودها لتستيقن حال السحابة، فكانت السحابة تمر معه حتى

غاب عن بصرها.[٥٩]

٨- عندما عاد الرسول صلى الله عليه وآله الى خديجة عليها السلام ليبشّرها بقدوم القافلة وسلامة أموالها، قالت له خديجة عليها السلام: أين خلفت الركب؟ قال: بالجحفة.

قالت: ومتى عهدك بهم؟

قال: ساعتي هذه.

فلما سمعت خديجة كلامه اقشعر جلدها، وقالت: سألتك بالله، إنك فارقتهم بالجحفة؟ قال: نعم، ولكن طوى الله لي البعيد.

قالت: والله ما كنت أحب أن تجئ هكذا وحيداً، إنما كنت أحب أن تكون أول القوم، وأنظر إليك، وأنت مقدم الرجال، وأرسل إليك جواري على رؤوس الجبال بأيديهم المباخر والمعازف، وآمر عبيدي بالذبايح والعقائر، ويكون لك يوم مشهور.

قال: يا خديجة، إني أتيت ولم يعلم بي أحد من أهل مكة، فإن أمرتيني بالرجوع رجعت من هذه الساعة وتفعلين مرادك؟

فقالت له: يا سيدي امهل قليلا.

ثم عملت له زاداً ساخناً فوضعته في مزادة وكانت العرب تعرفه بنقائه وطيب ريحه، وملأت له قربة من ماء زمزم، وقالت له: ارجع أودعتك من طوى لك البعيد من الارض.

فرجع النبي صلى الله عليه وآله، وسار قليلا والتحق بالقوم، وبعضهم يقظان وبعضهم رقود، فلما أحس به ميسرة قال: من الطارق في هذا الليل العاكر؟

قال: أنا محمد بن عبدالله.

قال: يا سيدي ما عهدتك أن تهزء وعهدي بك أنك سائر، فما الذي أرجعك يا سيدي؟

فقال له: يا ميسرة إني سافرت ثم عدت.

فضحك ميسرة وقال: سافرت الى ذيل هذا الجبل ثم عدت؟

قال النبي صلى الله عليه وآله: بل قصدت البيت الحرام.

فقال له ميسرة: ما عهدت منك يا سيدي إلا الصدق.

فقال: يا ميسرة ما قلت لك إلا الصدق فإن كان عندك شك فهذا خبز مولاتك خديجة، وهذا ماء زمزم.

فلما نظر ميسرة إلى ذلك نهض قائماً على قدميه، ونادى القوم وأخبرهم بالذي جرى، فتعجب القوم ودهشت عقولهم وصاح أبوجهل وقال: لا يبعد هذا على الساحر.[٦٠]

دخول القافلة الى مكة

وصلت القافلة الى مكة، فذهب ميسرة الى خديجةؑ وحدّثها بما جرى في السفرة من عجائب وكرامات.

وكان قد تولّع قلب خديجةؑ بمحمدؐ لما شاهدت من قبل من أحلام ولما سمعت من الأحبار والرهبان وورقة بن نوفل وغيرهم ومن أحداث السفر الى الشام، وكانت قد أدركت مقام محمدؐ العظيم وكانت مشتاقة له بكل وجودها وترغب بالزواج منه.

أعطت خديجةؑ الأجرة لمحمدؐ والتي كانت مقررة بينها وبينه وأعتقت رقاب ميسرة ووالده ووالدته وجميع أفراد عائلته كجائزة ثمينة على إخبارها بالبشارة.[٦١]

في ورقة اخرى من الاحاديث نقرأ: كانت تنتظر خديجةؑ وصول النبيؐ إليها بشدة، وهي تارةً تقوم وتنظر الى الطريق وتارةً تقعد، حتى أخبرتها جاريتها بقدوم محمدؐ، فانحدرت خديجةؑ الى وسط الدار، وفتحت الجارية الباب وقال محمدؐ بصوتٍ عالٍ: السلام عليكم يا أهل البيت.

فقالت خديجةؑ: هنيئاً لك السلامة يا قرّة عيني.

قال: وأنت يهنئك سلامة أموالك.

قالت خديجةؑ: تهنئني سلامتك أنت يا قرّة العين، فوالله أنت عندي خير من جميع الأموال والأهل، ثم قالت شعراً:

جاء الحبيب الذي أهواه من سفر
والشمس قد أثّرت في وجهه أثراً
عجبت للشمس من تقبيل وجنتيه
والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا[٦٢]

نعم، إنها خديجة السيدة العارفة والنجمة الساطعة المنيرة التي عشقت وتولّعت في شمس الحقيقة، بالرغم من أنها خُطبت من قبل أشخاص أثرياء ومشهورين، لكنها فكّرت في جميع الجوانب فقبلت يتيم أبي طالب، لأن عقلها لم يكن في عينها وإنما كانت لها رؤية وبصيرة بالحق، ففدت الماديّة بالمعنوية.

استشارة خديجةؑ عمّها ورقة، وحديث

كانت خديجةؑ قد تولّعت بجمال وكمال محمدؐ وكانت على كل حال سعيدة ومسرورة وتفتخر أنه سيأتي اليوم الذي يضع محمدؐ تاج الزواج على رأسها ولكن في نفس الوقت صمّمت على أن تحترم كبير عائلتها ورقة بن نوفل وتستشيره.

جاءت عند ورقة وأخبرته بكل ما جرى في سفر محمد صلى الله عليه وآله الى الشام من معجزات وكرامات حصلت، ثم بيّنت له موضوع خطبته وعلاقتها به وطلبت منه أن يبدي رأيه في هذا الموضوع.

وقالت: يا عم صف لي عيب محمد صلى الله عليه وآله.

فشرح لها ورقة الاوصاف العالية والسامية لمحمد صلى الله عليه وآله، فأرادت خديجة عليها السلام أن تهب لورقة خلعة وهدية.

فقال ورقة: يا خديجة لست أريد شيئاً من حطام الدنيا، وإنما أريد أن تشفعي لي عند محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة واعلمي يا خديجة أن بين أيدينا حساب وكتاب وعقاب وعذاب، ولا ينجو إلا من تبع محمداً، وصدق برسالته، فيا ويل من زحزح عن الجنة وأدخل النار.[٦٣]

وعموماً فقد كان ورقة يريد أن تستفيد خديجة عليها السلام من علمه، وأيضا كانت خديجة عليها السلام تحترمه من بين أقاربه وتأخذ بكلامه ونصائحه.

وهنا نعرض بعض النماذج لوصايا ورقة التي وصّى بها خديجة عليها السلام:

قال ورقة لخديجة عليها السلام: «إياك وصحبة الأحمق الكذّاب، فإنه يريد نفعك فيضرك ويقرب منك البعيد، ويبعد منك القريب، إن ائتمنته خانك، وإن ائتمنك أهانك وإن حدّثك كذبك، وإن حدّثته كذبك، وأنت منه بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.[٦٤]

وأيضا كان كلما يدخل ورقة بن نوفل على خديجة عليها السلام يقول لها: يا بنت أخي لا تماري جاهلاً ولا عالماً فإنك متى ماريت جاهلاً أذلّك، ومتى ماريت عالماً منعك علمه، وإنما يسعد بالعلماء من أطاعهم.[٦٥]

حديث قصير

لقد شوّق ورقة بن نوفل خديجة عليها السلام وشجّعها على أن توافق بهذا الزواج المقدّس، وقد تطرّق ورقة في حديثه عن محمد صلى الله عليه وآله (وكأنه يختبر خديجة عليها السلام) فقالت خديجة عليها السلام: يا عم إذا كان ماله قليلاً فمالي كثير، وإني يا عم محبّة له على كل حال؟

قال ورقة: اذن والله تسعدين وترشدين وتحظّين بنبيٍّ كريم.[٦٦]

زادت إرشادات وتشويق ورقة بن نوفل عشق ومحبة خديجة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله، فصمّمت خديجة عليها السلام ذات السيرة الطّاهرة والرّوح العارفة والبصيرة النافذة والعميقة والقلب التقي على أن تتزوج من محمد صلى الله عليه وآله وتصل الى هذا الافتخار العظيم والكبير.

لقاء خديجةعليها السلام بمحمدصلى الله عليه وآله في عالم الرؤيا والمنام

قال ورقة بن نوفل لخديجةعليها السلام (لما بعثت اليه تستشيره في مسألة الزواج): عندي كتاب من عهد عيسىعليه السلام فيه طلاسم وعزائم، أعزم بها على ماء وتأخذينه وتغسلين به، ثم أكتب كتاباً فيه كلمات من الزبور، وكلمات من الانجيل، فتضعيه تحت رأسك عند النوم وأنت على فراشك ملتفة بثيابك، فإن الذي يكون زوجك يأتيك في منامك حتى تعرفيه باسمه وكنيته.

فقالت: افعل يا عم.

قال: حبّاً وكرامةً.

وكتب الكتاب وأعطاها إياه، وفعلت ما أمرها به ونامت فرأت كأن قد جاء إليها رجل لا بالطويل الشاهق، ولا بالقصير اللاذق، أدعج العينين، أزج الحاجبين، أحور المقلتين، عقيقي الشفتين، مورد الخدّين، أزهر اللون، مليح الكون، معتدل القامة، تظلّله الغمامة، بين كتفيه علامة، راكب على فرس من نور، مزمم بسلسلة من ذهب، على ظهره سرج من العقيان، مرصّع بالدر والجوهر، له وجه كوجه الآدميين منشق الذنب، له أرجل كالبقر، خطوته مد البصر، وهو يرقل بالراكب، وكان خروجه من دار أبي طالب، فلما رأته خديجة ضمته الى صدرها، وأجلسته في حجرها، ولم تنم باقي ليلتها الى أن أقبلت الى عمها ورقة، وقالت: أنعمت صباحاً يا عم.

قال: وأنت لقيت نجاحاً، فلعلّك رأيت شيئاً في منامك.

قالت: رأيت رجلاً صفته كذا وكذا.

فعندها قال ورقة: يا خديجة إن صدقت رؤياك تسعدين وترشدين، فإن الذي رأيتيه متوج بتاج الكرامة، الشفيع في العصاة يوم القيامة، سيد العرب والعجم، محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم.

قالت: وكيف لي بها تقول يا عم وأنا كما يقول الشاعر:

أسير إليكم قاصداً لأزوركم
وقد قصرت بي عند ذاك رواحلي
وملك الاماني خدعة غير أنني
اعلل حد الحادثات بباطل
احمل برق الشرق شوقاً إليكم
وأسأل ريح الغرب رد رسائلي

قال: فزاد بها الوجد، وكانت إذا خلت بنفسها فاضت عبرتها أسفا، وجرت دمعتها لهفاً، وهي تقول:

كم أستر الوجد والأجفان تهتكه
واطلق الشوق والاغضاء تمسكه
جفاني القلب لما أن تملكه
غيري فوا أسفا لو كنت أملكه
ما ضر من لم يدع مني سوى رمقي
لو كان يمسح بالباقي فيتركه(٦٧)

بني هاشم في دار خديجة

وبينما كانت خديجة تقرأ الأشعار وإذا بالباب يُطرق، فقالت لجاريتها: انزلي وانظري من بالباب، لعل هذا خبر من الأحباب.

ثم نزلت الجارية وإذا أولاد عبد المطلب بالباب، فرجعت الى خديجة وقالت: يا سيدتي إن بالباب سادات العرب، ذوي المعالي والرتب، أولاد عبد المطلب.

فرمقت خديجة رمق الهوى، ونزل بها دهش الجوى، وقالت: افتحي لهم الباب، وأخبري ميسرة يعتد لهم المساند والوسائد، فإني أرجو أن يكونوا قد أتوني بحبيبي محمد صلى الله عليه و آله.

فبسط لهم ميسرة المجلس بأنواع الفرش فما استقر بالقوم الجلوس إلا وقد قدم لهم أصناف الطعام والفواكه من الطائف والشام، فأكلوا وأخذوا في الحديث.

فقالت لهم خديجة من وراء الحجاب بصوت عذب، وكلام رطب: يا سادات مكة أضاءت بكم الديار، وأشرقت بكم الأنوار، فلعل لكم حاجة فتقضى، أو ملمة فتمضى، فإن حوائجكم مقضيّة، وقناديلكم مضيئة.

فقال أبو طالب رضي الله عنه: جئناك في حاجة يعود نفعها إليك، وبركتها عليك. قالت: يا سيدي وما ذلك؟

قال: جئناك في أمر ابن أخي محمد.

فلما سمعت ذلك غاب رشدها عن الوجود، وأيقنت بحصول المقصود، وقالت شعراً:

بذكركم يطفئ الفؤاد من الوقد
ورؤيتكم فيها شف أعين الرمد

ومن قال: إني أشتفي من هواكم
فقد كذبوا لو مت فيه من الوجد
وما لي لا أملأ سروراً بقربكم
وقد كنت مشتاقاً إليكم على البعد
تشابه سري في هواكم وخاطري
فأبدي الذي أخفي وأخفي الذي أبدي

ثم قالت بعد ذلك: يا سيدي أين محمد حتى نسمع ما يقول؟

قال العباس رضي الله عنه: أنا آتيكم به.

فنهض ويأتي به الى خديجة عليها السلام.(٦٨)

حديث أبي طالب مع الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم

في صفحة أخرى من الأحاديث نقرأ: بعد رجوع محمد صلى الله عليه وآله وسلم من السفرة التجارية للشام والتي صاحبتها الكرامات والمعجزات، جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى دار خديجة عليها السلام، وقد سعدت خديجة عليها السلام جداً بلقائه، وبعد حديثٍ طويل قالت خديجة عليها السلام لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: يا سيدي لك عندي حق البشارة زيادة على ما كان بيننا.

ثم خرج ودخل منزله عمه أبي طالب، وكان أبو طالب فرحا بما عاين من ابن أخيه فقبل ما بين عينيه وجاءت أعمامه حوله، وقال أبو طالب: يا ولدي ما الذي أعطتك خديجة؟

قال: وعدتني الزيادة على ما بيننا.

قال: هذه نعمة جليلة، وقد عزمت أن أترك لك بعيرين تسافر عليهما، وراحلتين تصلح بهما شأنك، وأما الذهب والفضة أخطب لك بهما فتاة من نسوان قريش من قومك ثم لا أبالي بالموت حيث أتى وكيف نزل.

فقال: يا عماه افعل ما بدا لك.

حديث خديجة عليها السلام الخاص مع الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم

لما كان وقت الغداة اغتسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وعك السفر وتطيب وسرح رأسه، ولبس أفخر أثوابه وسار الى منزل خديجة، فلم يجد عندها سوى ميسرة، فلما رأته فرحت بقدومه، وجعلت تقول:

دنا فرمى من قوس حاجبه سهما
فصادفني حتى قتلت به ظلما

وأسفر عن وجهه وأسبل شعره
فبات يباهي البدر في ليلة ظلماء
ولم أدر حتى زار من غير موعد
على رغم واش ما أحاط به علما
وعلمني من طيب حسن حديثه
منادمة يستنطق الصخرة الصماء

ثم التفتت إليه وقالت: يا سيدي نعمت الصباح، ودامت لك الافراح، هل من حاجة فتقضى؟

فاستحى وطأطأ رأسه وعرق جبينه، فأقبلت عليه تلاطفه في الكلام، ثم قالت: يا سيدي إذا سألتك عن شيء تخبرني؟

قال: نعم.

قالت خديجة: إذا أخذت الجمال والمال من عندي ما تريد أن تصنع به؟

قال لها: وما تريدين بذلك يا خديجة؟

قالت: أزيدك وما أقدر عليه.

قال: اعلمي أن عمي أبا طالب قد أشار على أن يترك لي بعيرين أسافر بهما، وبعيرين أصلح بهما شأني، والذهب والفضة يخطب لي بهما امرأة من قومي تقنع مني بالقليل ولا تكلفني ما لا أطيق.

فتبسمت خديجة، وقالت: يا سيدي أما ترضى أني أخطب لك امرأة تحسن بقلبي؟

قال: نعم.

قالت: قد وجدت لك زوجة، وهي من أهل مكة من قومك، وهي أكثرهن مالا وأحسنهن جمالا وأعظمهن كمالا، وأعفهن فرجا، وأبسطهن يدا، طاهرة مصونة، تساعدك على الامور، وتقنع منك بالميسور ولا ترضى من غيرك بالكثير، وهي قريبة منك في النسب، يحسدك عليها جميع الملوك والعرب، غير أني أصف لك عيبها، كما وصفت لك خيرها.

قال: وما ذلك؟

قالت: عرفت قبلك رجلين، وهي أكبر منك سنا[٦٩].

قال صلى الله عليه وآله: سمّيها لي.

قالت: هي مملوكتك خديجة.

فأطرق منها خجلا حتى عرق جبينه، وأمسك عن الكلام، فأعادت عليه القول مرة أخرى، وقالت: يا سيدي ما لك لا تجيب؟ وأنت والله لي حبيب، وإني لا أخالف لك أمراً وأنشأت تقول:

يا سعد إن جزت بوادي الاراك
بلغ قليبا ضاع مني هناك
واستفت غزلان الفلا سائلا
هل لأسير الحب منهم فكاك؟
وإن ترى ركبا بوادي الحمى
سائلهم عني ومن لي بذاك؟
نعم سروا واستصحبوا ناظري
والآن عيني تشتهي أن تراك
ما في من عضو ولا مفصل
إلا وقد ركب منه هواك
عذبتني بالهجر بعد الجفاء
يا سيدي ماذا جزاء بذاك؟
فاحكم بما شئت وما ترتضي
والقلب ما يرضيه إلا رضاك

ثم ألحّت عليه بالكلام فقال لها: يا ابنة العم، أنت امرأة ذات مال، وأنا فقير لا أملك إلا ما تجودين به عليّ، وليس مثلك من يرغب في مثلي، وأنا أطلب امرأة يكون حالها كحالي، ومالها كمالي، وأنت ملكة لا يصلح لك إلا الملوك.

فلما سمعت كلامه قالت: والله يا محمد إن كان مالك قليلاً فمالي كثير، ومن يسمح لك بنفسه كيف لا يسمح لك بماله؟ وأنا ومالي وجواري وجميع ما أملك بين يديك وفي حكمك، لا أمنعك منه شيئاً، وحقّ الكعبة والصفا ما كان ظنّي أن تبعدني عنك.

ثم ذرفت عبرتها وقالت شعراً:

والله ما هبّ نسيم الشمالي
إلا تذكرت ليالي الوصال
ولا أضا من نحوكم بارق
إلا توهمت لطيف الخيال
أحبابنا! ما خطرت خطرة
منكم غداة الوصل مني ببال

جـــــور الـلـيـالـــي خـصـــنـي بـالجـفـــا
مـنـكـم ومـــن يـأمـــن جـــور الـلـيـل؟
رقــــوا وجــــــودوا واعــطــفــوا وارحمـــوا
لا بـــــد لي مـنـكـــم عـــلى كـــل حـــال

ثم قالت خديجة عليها السلام: وربٌ احتجب عن الأبصار، وعلم حقيقة الأسرار إني محقّة لك في هذا الأمر، قم الى عمومتك وقل لهم: يخطبوني لك من أبي، ولا تخف من كثرة المهر، فهو عندي وانا أقوم لك بالهدايا والمصانعات، فسر وأحسن الظّن فيمن أحسن بك الظن.

فخرج النبي صلى الله عليه وآله من عندها، ودخل على أبي طالب والسرور في وجهه، وبيّن له ما جرى بينه وبين خديجة عليها السلام، فقال أبو طالب: انهض أنت وأعمامك هذه الساعة الى دار خديجة لخطبتها.(٧٠)

سعي صفيّة ونفيسة لإتمام الزواج

بعد بروز الأحداث التي جرت وتم ذكرها، كانت خديجة مستعدة تماماً لتحقيق الزواج بالرسول صلى الله عليه وآله، وتنتظره، بالرغم من خطبة الأثرياء العرب الكبار لها فإنها رفضتهم كلياً، فقلبها ينبض للزواج بمحمد صلى الله عليه وآله الذي لا يملك شيئاً من مال الدنيا، وتعدّ اللحظات للوصول له.

طلبت خديجة عليها السلام إحدى صديقاتها وتسمى «نفيسة» وهي من نساء قريش وامرأة نبيهة، وحدّثتها بما يجري في قلبها بصورة خاصة، وقالت لها بأن تذهب الى محمد صلى الله عليه وآله وتطرح عليه موضوع الزواج.

فأتت نفسية محمد صلى الله عليه وآله وقالت: يا محمد ما بك لا تتزوج؟

فقال محمد صلى الله عليه وآله: إنني فقير ولا أملك شيئاً لأتزوج.

قالت نفيسة: أنا أقدر أن أحل لك هذه المشكلة، وأعرّفك على سيدة جميلة وثرية وذات كمال من أسرة أصيلة وشريفة.

فقال محمد صلى الله عليه وآله: من أين لك مثل هذه السيدة؟

قالت نفيسة: إنها السيدة الشريفة خديجة عليها السلام.

فسكت محمد صلى الله عليه وآله، ففهمت نفيسة من صمته أنه موافق، فأتت نفيسة خديجة عليها السلام وأبلغتها بأنها سعت لموضوع الزواج وأن محمد صلى الله عليه وآله قد وافق على ذلك.

خرج هذا الموضوع من الخصوصية وعلم أعمام الرسول صلى الله عليه وآله وعم خديجة عليها السلام ويسمى «عمرو بن أسد» وباقي الأقارب بذلك.(٧١)

كان أعمام الرسول صلى الله عليه وآله في حيرة من أمر خديجة عليها السلام، فهل هي مستعدة للزواج برجلٍ فقير مثل

محمدصلى الله عليه وآله أم لا؟

فقال لهم النبيصلى الله عليه وآله بكل صراحة: يا معاشر الأعمام، قوموا واخطبوا لي خديجة من أبيها، فما عندكم من العلم مثل ما عندي منها.

فصدّقوه ونهضت صفيّة بنت عبدالمطّلب ولبست أفخر الثياب وسارت نحو منزل خديجةعليها السلام، فلقيتها بعض جواريها في الطريق فسبقتها الى الدار، وأعلمت خديجة بقدوم صفية بنت عبدالمطلب، وكانت قد عزمت على النوم فأخلت لها المكان، وقد عثرت خديجة بذيلها، فقالت: لا أفلح من عاداك يا محمد.

فسمعت صفية كلام خديجةعليها السلام فقالت في نفسها: أجاد الدليل، ثم طرقت الباب، ففتح وجاءت الى خديجة فلقيتها بالرحب والتحية، وأرادت أن تأتي لها بطعام، فقالت: يا خديجة، ما جئت لأكل الطعام، بل يا ابنة العم جئت أسألك عن كلام أهو صحيح أم لا؟

فقالت خديجة: بل هو صحيح، إن شئت تخفيه، أو شئت تبديه، وأنا قد خطبت محمداً لنفسي، وتحمّلت عنه مهري، فلا تكذّبوه إن كان قد ذكركم بشيء، وإني قد علمت أنه مؤيد من ربّ السماء.

فتبسمت صفيّة، وقالت: والله إنّك لمعذورة فيمن أحببت، والله ما شاهدت عيني مثل نور جبينه، ولا أعذب من كلام ابن أخي، ولا أحلى من لفظه، ثم أنشأت تقول:

الله اكبر كل الحسن في العرب
كم تحت هذا البدر من عجب
قوامه ثم إن مالت ذوائبه
من خلقه فهي تغنيه عن الأدب
تبت يد اللائمي في وحاسده
وليس لي في سواه قط من أرب

ثم عزمت صفية رضي الله عنها على الخروج من بيتها، فقالت لها خديجةعليها السلام: امهلي قليلاً، ثم أخرجت خلعة سنية وخلعتها على صفية، وضمتها الى صدرها، وقالت: يا صفية بالله عليك إلا ما أعنتيني على وصال محمدصلى الله عليه وآله.

قالت: نعم.

ثم خرجت طالبة لاخوتها، فقالوا لها: ما وراءك يا صفية، يا ابنة الطيبين؟

قالت: يا إخواتي قوموا إن كنتم قائمين، فوالله إن لها في ابن أخيكم محمدصلى الله عليه وآله رغبة ليس تدرك.

ففرحوا بذلك كلهم غير أبي لهب، فإن كلامها زاده غيظاً وحسداً لمحمدصلى الله عليه وآله.

ونهضوا جميعاً الى دار خويلد لخطبة السيدة خديجةعليها السلام وفي مقدمتهم كان أبي طالب (والد عليعليه السلام) فجاءوا عند خويلد والد خديجةعليها السلام أولا، لكنهم سمعوا منه كلاماً غير لائق[٧٢] فذهبوا الى ابن عم خديجةعليها السلام ورقة بن نوفل بارشاد منها، فاستقبلهم بكل سعة صدر ورحابة وبكل احترام ورحّب بهم، وبعد الحديث الذي دار بين خديجةعليها السلام وورقة تم الاستعداد لمقدمات عقد النكاح.[٧٣]

لسان حال السيدة خديجةعليها السلام

أنشدت خديجةعليها السلام من أعماقها أشعاراً في عشقها لوصال النبيصلى الله عليه وآله وسلم كالشعر التالي:

ألــــذ حـيـاتــي وصـلـكـم ولـقـاكـم
ولـسـت ألــذ الـعـيـش حـتـى أراكـم
ومـا استـحسـنـت عـيـنـي مـن الـنـاس غيركم
ولا لــذ في قـلـبـي حـبـيـب سـواكـم
عــلى الــرأس والـعـيـنـين جمـلـة سعيكم
ومـن ذا الـذي في فـعـلـكـم قـد عـصـاكـم
فـهـا أنـا محـسـوب عـلـيـكـم بأجمـعـي
وروحـي ومـالـي يـا حـبـيـبـي فـداكـم
ومـا غـيركـم في الحـب يـسـكـن مهجتي
وإن شـئـتـم تـفـتـيـش قـلـبـي فـهـاكـم

إن إبراز أحاسيس خديجةعليها السلام لم يكن من العشق المجازي والذي ينشأ من الأهواء النفسية، بل كان عشق عرفاني ومعنوي على مستوى عالي والذي استقر في قلب خديجةعليها السلام، كان الجو جواً ملكوتياً وليس جواً ناسوتياً حيث لا يجد فيه العشق الحيواني مجالاً أو طريقاً، لذلك سمع أهل القلب منادياً ينادي من السماء: إن الله زوّج الطّاهرة بالطّاهر الصّادق.

ثم رفع الحجاب، وخرجت منه جواري بأيديهن نثار ينثرن على الناس، ويعطّرنهم بالطيب، وقالوا الجميع: هذا من طيّبٍ.(٧٤)

وساطة عمار وهالة لإتمام الزواج

جاء طبقاً لبعض الروايات أن من جملة الأشخاص الذين توسّطوا في زواج الرسول صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام هم هالة أخت خديجة عليها السلام وعمار بن ياسر الصحابي المعروف لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه الرواية تدل على أن خديجة عليها السلام كانت تسعى سعياً بالغاً لتحقيق هذا الزواج المقدّس، والرواية هي:

روي عن عمار بن ياسر أنه قال: أنا اعلم الناس بتزويج رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة بنت خويلد عليها السلام، كنت صديقاً له، فإنا لنمشي يوما بين الصفا والمروة إذا بخديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله جاءتني هالة أختها فقالت: يا عمار! ما لصاحبك حاجة في خديجة؟

قلت: والله ما أدري.

فرجعت فذكرت ذلك له، فقال: ارجع فواضعها وعدها يوما نأتينها فيه، ففعلت.

فلما كان ذلك اليوم أرسلت الى عمرو بن أسد وسقته ذلك اليوم ودهنت لحيته بدهن أصفر، وطرحت عليه حبراً. ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله في نفر من أعمامه تقدمهم أبو طالب، وبعد التحدث تمت الموافقة وقرأ أبو طالب خطبة العقد وتم الزواج.(٧٥)

قصة خويلد والد خديجة عليها السلام

لماذا لم يأت الحديث عن خويلد والد خديجة عليها السلام في خطبتها ومجلس عقدها و..، بالرغم من وجوده؟ وأغلب الأحاديث جاءت عن ابن عم خديجة عليها السلام «ورقة بن نوفل»؟

جاءت مطالب في الاجابة على هذا السؤال حيث بالتوجه اليها سيتّضح لنا سر عدم وجود خويلد في هذه القضية:

١- ان خويلد قتل في إحدى حروب الفجّار قبل سنوات(٧٦)، لذلك كان العالم ورقة بن نوفل والذي اختارته خديجة عليها السلام هو الذي يقوم بهذه الاعمال.

٢- ان خويلد كان حيّاً ولكن لأن ابن أخيه ورقة كان عالماً ذكياً ومن أهل العلم وتقبله خديجة عليها السلام وكّله في مسألة زواج خديجة عليها السلام المهمة وإجراء العقد.(٧٧)

٣- أن خويلد كان علاوةً على الشجاعة رجلٌ خشن وعجول، ومن الواضح أنه إذا اجتمعت صفتي الشجاعة والخشونة في شخص فإن أعماله لن تصل الى نتيجة معقولة.

٤- ان معرفة وعلوم خويلد لم تكن الى الدرجة التي يرجّح المسألة المعنوية على المسألة المادية لذلك كان يرى أن زواج محمد صلى الله عليه وآله الفقير بخديجة عليها السلام الثرية غير مناسب وفيه ذلّ لخديجة عليها السلام، لذلك لم يوافق على مهر قليل لمثل ذلك الزواج، ولكن كما قلنا، وافق على الزواج وأقدم عليه من بعد شرح وبيان

خديجة عليها السلام له عن الرسول صلى الله عليه وآله.

٥- كان لأشخاص حاسدة مثل أبو جهل وأمثاله نفوذ على خويلد حيث كانوا يحرّضونه على عدم الموافقة على ذلك الزواج، وكان يقع تحت تأثير محبي الدنيا لأنه كان يرى الظاهر ولا يرى المسائل المعنوية العالية والسامية.

ولإكمال هذه الإجابة والتوجه الى جميع زوايا المسألة نلفت نظركم الى الحكاية التالية:

عندما حضر أعمام النبي صلى الله عليه وآله وبينهم أبو طالب الى دار خديجة عليها السلام للتحدث في مسألة عقد زواجها، أظهر خويلد عدم رضاه، حتى قال: لو دفعتم ذهب ملء جبل قبيس فلن أوافق على هذا الزواج...

فلما سمع أعمام النبي صلى الله عليه وآله كلامه والحاضرون قال حمزة لأخيه أبي طالب مع إخوته: ما بقي للجلوس موضع، قوموا بنا.

فبينا هم في ذلك إذ أقبلت جارية لخديجة عليها السلام، وأشارت الى أبي طالب فقام معها، ووقف أبو طالب خلف الحجاب، فسلّمت عليه خديجة عليها السلام، وقالت: نعمت صباحاً ومساءاً، يا سيّد الحرم، لا تغتر بشقشقة أبي، فإنه ينصلح بشيء قليل، ثم أعطته كيسا فيه ألفا دينار، وقالت: يا سيدي خذ هذا وسر به إليه كأنك تعاتبه وصبه في حجره، فإنه يرضى.

فسار أبو طالب الى المجلس والناس حاضرون وفتح أبو طالب الكيس وصبه في حجر خويلد، وقال له: هذه عطية من ابن أخي لك، غير مهر ابنتك.

فلما رأى خويلد المال انطفت ناره، وأقبل ووقف في الموقف الاول على رؤوس الجمع ونادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب، وذوي المعالي والرتب، فوالله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بأفضل من محمد، ولقد رضيته لابنتي بعلا وكفوا، فكونوا على ذلك من الشاهدين.(٧٨)

في صفحة اخرى من الأحاديث نقرأ:

بعثت خديجة من يومها أربعة آلاف دينار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت: يا سيدي انفذها إلى عمك العباس ينفذها إلى أبي.

وأرسلت مع المال خلعة سنية، فسار بها العباس وأبوطالب إلى منزل خويلد وألبساه الخلعة، فقام خويلد من وقته وساعته إلى دار خديجة، وقال: يا بنتي ما الانتظار بالدخول؟ جهزي نفسك، فهذا مهرك قد أتوا به إلي، وأعطوني هذه الخلعة، والله ما تزوج أحد بزوج مثلك، لا في الحسن ولا في الجمال.

فسمع أبوجهل ذلك والذي كانت خديجة قد رفضته عند خطبته لها فقام والحسد يملأ قلبه في

الناس وقال: هذا المال من عند خديجة.

فبلغ الخبر أبا طالب فخرج من وقته وساعته متقلدا سيفه، ووقف في الابطح والعرب مجتمعون وقال: يا معاشر العرب سمعنا قول قائل وعيب عائب، فإن كانت النساء قد أقمن بواجب حقنا فليس ذلك بعيب، وحق لمحمد أن يعطى ويهدى إليه، فهذا جرى منها على رغم أنف من تكلم.[٧٩]

وبهذا الترتيب، أخرس أبو طالب العدو وأبطل خططه.

مراسم وخطبة زواج السيدة خديجةعليها السلام

عقد مجلس زواج محمدصلى الله عليه وآله في دار خديجةعليها السلام بعد خمسة عشرة يوما أو شهرين من سفر محمدصلى الله عليه وآله التجاري للشام، وكان أعمام النبيصلى الله عليه وآله وعدد من أقارب خديجةعليها السلام مثل ابن عمها ورقة بن نوفل وعدد من كبار قريش مكة حاضرين في هذا المجلس.[٨٠]

نقل المحدّث الخبير محمد بن يعقوب الكليني (توفي في ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ.ق) في كتاب فروع الكافي عن الامام الصادقعليه السلام: لما أراد رسول اللهصلى الله عليه وآله أن يتزوّج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عمّ خديجةعليها السلام فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال:

«الحمد لربّ هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرّية اسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إنّ ابن أخي هذا ممّن لا يوزن برجلٍ من قريشٍ إلا رجّح به، ولا يقاس به رجلٌ إلا عظم عنه، ولا عِدلَ له في الخلق، وإن كان مقلاً في المال فإنّ المال رفدٌ جائرٌ، وظلٌ زائلٌ، وله في خديجة رغبةٌ، ولها فيه رغبةٌ، وقد جئناك لنخطبها اليك برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجلةً وآجلةً، وله وربّ هذا البيت حظٌّ عظيمٌ ودينٌ شائعٌ ورأيٌ كاملٌ».[٨١]

ثم سكت أبو طالب وتكلّم عمّها وتلجلج[٨٢] وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبُهر[٨٣] وكان رجلاً من القسّيسين فقالت خديجةعليها السلام مبتدئة: يا عمّاه إنك وإن كنت أولى بنفسي منّي في الشهود فلست أولى بي من نفسي، قد زوّجتك يا محمد[٨٤] نفسي والمهر عليّ في مالي فأمر عمّك فلينحر ناقة فليولم بها وادخل على أهلك.

قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمداً وضمانها المهر في مالها.

فقال بعض قريش: يا عجباه، المهر على النساء للرجال.

فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه وكان ممن يهابه الرّجال ويكره غضبه، فقال: إذا

كان مثل ابن أخي هذا طلبت الرّجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر وإذا كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلا بالمهر الغالي.

ونحر أبو طالب ناقة ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهله وقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هـنـيـئـاً مـريـئـاً يـا خـديجـة قـد جـرت
لـك الـطّـير في مـا كـان مـنـك بـأسـعـد
تـزوّجـتـه خـير الـبريـّة كـلّـهـا
ومـن ذا الـذي في الـنّـاس مثـل محـمّـدٍ
وبـشّـر بـه الـبرّان عـيسـى بـن مـريم
ومـوسـى بـن عـمـرانٍ فـيـا قـرب مـوعـدٍ
أقـرّت بـه الـكـتّـاب قـدمـاً بـأنـّه
رسـولٌ مـن الـبطـحـاء هـادٍ ومـهـتـدٍ[٨٥]

وجـاء طبقـاً لبعض الروايات أن ورقة بـن نوفل قد قرأ خطبةً وقبل عـلى وكالة خديجةعليها السلام له لعقد الزواج وشـهد عـلى ذلك صناديد قريش، فأمرت خديجةعليها السلام جواريهـا أن يرقصن ويضربن بالدفوف، ونحر أبوطالب بكرة من بكراته، وأطعمها الناس، وكانوا يباركونه ويذهبون.[٨٦]

وبناءاً على بعض الروايات أن أبي طالب عيّن مهر خديجةعليها السلام بعشرين ناقة وجاء في رواية أخرى أن مهرها كان خمسمائة درهم أو دينار.

بعـد إتمام عقـد النكاح قام محمـدصلى الله عليه وآله ليذهب مع أبي طالـب، فقالت خديجـةعليها السلام: «الى بيتك، فبيتي بيتك، وأنا جاريتك».[٨٧]

حقّـاً إنّ حديـث خديجـةعليها السلام يبيّن نهايـة تواضعها واخلاصهـا وايثارها لزوجها لدرجـة أنها عدّت نفسها جاريته.

وبهذا الترتيب، تزوج الرسـولصلى الله عليه وآله بخديجةعليها السلام قبل البعثة بخمسـة عشرة سـنة، واسـتمرت حياتهما بكل عزّة ومحبّة، وتم بناء أسرة جميلة ومُحبّة ونسـتطيع أن نقول أنه لم يكن هناك زوجين أسـعد منهما في ذلك الزمن، الذين تزوجا على أساس الأصالة والقيم العالية والسامية.

حفلة الزواج العظيمة ووليمتها

أعطـت خديجـةعليها السلام لعمها ورقة أمـوال كثيرة وقالت: خذ هذه الامـوال وسر بها إلى محمد صلى الله عليـه والـه وقل لـه: إن هذه جميعهـا هدية له ، وهـي ملكه يتصرف فيها كيف شـاء، وقل لـه: إن مالي

وعبيدي وجميع ما أملك وما هو تحت يدي فقد وهبته لمحمدصلى الله عليه وآله إجلالا وإعظاما له.

فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب إن خديجة تشهدكم على أنها قد وهبت نفسها ومالها وعبيدها وخدمها وجميع ما ملكت يمينها والمواشي والصداق والهدايا لمحمدصلى الله عليه وآله، وجميع ما بذل لها مقبول منه، وهو هدية منها إليه إجلالا له وإعظاما ورغبة فيه، فكونوا عليها من الشاهدين.

ثم أنفذت خديجةعليها السلام إلى أبي طالب غنما كثيرا ودنانير ودراهم وثيابا وطيبا، وعمل أبو طالب وليمة عظيمة، ووقف النبيصلى الله عليه وآله وشدّ وسط، وألزم نفسه خدمة جميع الناس، وأقام لاهل مكة الوليمة ثلاثة أيام، وأعمام النبيصلى الله عليه وآله تحته في الخدمة، وأنفذت خديجة إلى الطائف وغيره، ودعت أهل الصنايع إلى منزلها، وصاغت المصاغ والحلي، وفصلت الثياب، وعملت الشمع بالعنبر على هيئة الاشجار، وأجرت عليه الذهب، وعملت فيه التماثيل من المسك والعنبر،... اجتمعت النساء، وفي ليلة الزفاف أخذن السيدة خديجةعليها السلام بكل عظمة وجلال الى دار محمدصلى الله عليه وآله وخرجت صفيّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها بين يديها تقول أشعارا في هذه المناسبة السعيدة، وخلا رسول اللهصلى الله عليه وآله مع عروسه خديجةعليها السلام.

وجاء في الأقوال: أن الله عزّ وجل أوحى الى جبرئيلعليه السلام: أن اهبط الى الجنة، وخذ قبضة من مسكها، وقبضة من عنبرها، وقبضة من كافورها، وانثرها على جبال مكة، ففعل فامتلأت شعاب مكة وأوديتها ومنازلها وطرقها من ذلك الطّيب، حتّى أن الرجل يقول إذا خلا مع زوجته: ما هذا الطّيب؟

فتقول: هذا من طيب خديجة ومحمدصلى الله عليه وآله.(٨٨)

أشعار صفيّة والنساء في ليلة الزفاف

برزت جلوات مشرقة في ليلة عرس خديجةعليها السلام بالرسول محمدصلى الله عليه وآله، وفي الجلوة الثانية والثالثة قرأت صفية عمة الرسول صلى الله عليه وآله أبياتا من الشعر، وقد نقل في الجلوة الثانية الآتي:

أقبلن نساء بني هاشم بخديجةعليها السلام للجلوة الثانية على رسول اللهصلى الله عليه وآله، وقد أشرق من نور وجهها نور علا على جميع المصابيح والشموع، وقد لبسن لباسٍ فاخر من كل الالوان، وكانت خديجة امرأة طويلة شامخة عريضة من النساء بيضاء لم ير في عصرها ألطف منها، ولا أحسن، وخرجت بين يديها صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وقفت أمام الوجه النوراني لخديجةعليها السلام، وأنشدت تقول:

جاء السرور مع الفرح
ومضى النحوس مع الترح

أنوارنا قد أقبلت
والحال فيها قد نجح
بمحمد المذكور في
كل المفاوز والبطح
لو أن يوازن أحمد
بالخلق كلهم رجح
ولقد بدا من فضله
لقريش أمر قد وضح
ثم السعود لاحمد
والسعد عنه ما برح
بخديجة نبت الكمال
وبحر نايلها طفح
يا حسنها في حليها
والحلم منها ما برح
هذا النبي محمد
ما في مدائحه كلح
صلوا عليه تسعدوا
والله عنكم قد صفح

ثم أقبلن بها رضي الله عنها حتى أوقفوها بين يدي النبي ﷺ، ثم بعد ذلك أخذوا التاج ورفعوه من رأسها، ووضعوه على رأس النبي ﷺ، ثم أتوا بالدفوف وهن يضربن لها، وقلن لها: يا خديجة لقد خصصت هذه الليلة بشئ ما خصّ به غيرك، ولا ناله سواك من قبائل العرب والعجم، فهنيئا لك بما اوتيته، ووصل إليك من العزّ والشرف.

وفي الجلوة الثالثة، قرأت أيضا صفية بعض الأشعار، ثم أجلست خديجة عليها السلام بجانب النبي ﷺ وخرج جميع الناس عنها، وبقي عندها في أحسن حال، وأرخى بال.

وخلا رسول الله ﷺ مع عروسه، وأوحى الله إلى جبرئيل: أن اهبط إلى الجنة، وخذ قبضة من مسكها، وقبضة من عنبرها، وقبضة من كافورها، وانثرها على جبال مكة، ففعل فامتلات شعاب مكة وأوديتها ومنازلها وطرقها وعرف الجميع بأن هذه الهبة كانت لعرس محمد ﷺ وخديجة عليها السلام.[٨٩]

صفيّة عمّة النبيصلى الله عليه وآله في أسطر

نظراً لأن صفيّة عمة النبيصلى الله عليه وآله كان لها دور مهم في زواج النبيصلى الله عليه وآله العظيم بخديجةعليها السلام وقيامها بالوساطة لتحقيق هذا الزواج وانشادها الاشعار في حفلة الزواج والتي ذكرت من قبل، فقد دفعنا ذلك الى أن نعرّف هذه السيدة اللبيبة والشجاعة بالاسطر القليلة الآتية:

كانت صفية عمة وابنة خالة النبيصلى الله عليه وآله وبنت عبد المطلب وأم زبير من النساء ذات الصلابة والشجاعة جداً، حيث أسلمت في مكة وبقيت على الاسلام حتى توفيت في السنة العشرين من الهجرة وعمرها لا يتجاوز الثلاث والسبعين سنة، ويقع قبرها في مقبرة البقيع في المدينة، وكانت تقريبا في عمر الرسولصلى الله عليه وآله.

وقد جاء في شجاعتها أنها قالت: كنا مع حسان بن ثابت في حصن فارع والنبيصلى الله عليه وآله بالخندق، فإذا بيهودي يطوف بالحصن فخفنا أن يدل على عورتنا، فقلت لحسان: لو نزلت إلى هذا اليهودي فإني أخاف أن يدل على عورتنا، قال: يا بنت عبد المطلب لقد علمت ما أنا بصاحب هذا، قالت فتحزّمت ثم نزلت وأخذت عمودا وقتلته به.(٩٠)

وفي غزوة أحد كانت صفية تقف أمام المسلمين الفارّين وبيدها سهم وتأنّبهم على فرارهم وتفرقتهم عن الرسولصلى الله عليه وآله.(٩١)

بعدما استشهد سيدنا حمزةعليه السلام عمّ الرسولصلى الله عليه وآله في غزوة أحد مثّل العدو بجسمه فجاء الرسولصلى الله عليه وآله الى جثة حمزةعليه السلام المقطّعة وحزن عليه كثيراً، رأى من بعيد صفية أخت حمزة آتية، فقال لابنها الزبير بن العوام: لا تجعلها تحضر هنا حتى لا ترى أخيها هكذا.

فذهب زبير الى أمه صفية وبلّغها بقول رسول اللهصلى الله عليه وآله، وطلب منها الرجوع.

قالت صفية: لماذا تمنعني، صحيح أنه وصلني خبر أخي بأنه مُثّل به ولا تريدني أن أرى جثة أخي ولكن ذلك في الله قليل، لقد رضيت بقضاء الله والله لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله.

عندما شاهدها الرسولصلى الله عليه وآله بهذه الرّوحيّة العالية قال لزبير: خلّ سبيلها.(٩٢)

كانت تعتبر صفية بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله من أهل الرسالة، وقد قرأت أشعار حزينة في مأتم عزاء النبيصلى الله عليه وآله،كانت دائماً مع فاطمة الزهراء بنت خديجة عليهما السلام وتواسيها وتحميها كابنتها وتعاملها كالوالدة الحنونة والعطوفة.

عند احتضار النبيصلى الله عليه وآله قال لفاطمة سلام الله عليها وصفية: «يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله، اعملا خيرا لتنالا ما عند الله، فإني لا أقدر أن أدافع عنكما عند الله.(٩٣)

اليوم المبارك ويوم الشكر لله

بـلا شـك كان يـوم زواج الرسـول صلى الله عليه وآله بخديجـة عليها السلام يوماً مبـاركاً وميمونـاً والذي كان منشـأً لآثار وبـركات كثـيرة على مدى التاريخ، وكان السـبب لغرس بذرة نبتت وأعطت شـجرة مثمرة وسـعيدة ويسـتفيد الناس مـن ثمارها المعنوية المتعددة الى يـوم القيامة، ومن ثمارها هي الزهراء سـلام الله عليها وأحد عشر إمام معصوم [٩٤].

لذلـك يجب دائماً تجديد ذكرى هذا اليـوم والذي هو نبع الخير والبركات الكثيرة، والاحتفال بمثل هذا اليوم، وشكر الله لظهور هذا اليوم، اليوم العاشر من ربيع الاول.

ومـن هـذا المنطـلق جـاء في الروايـات أنه مسـتحب عـلى المؤمنين في هـذا اليـوم الذي تـزوج فيه الرسـول صلى الله عليه وآله وكان عمـره خمس وعشرين سـنة بخديجـة عليها السـلام وكان عمرها أربعين سـنة[٩٥]، صيامـه حتـى يشـكروا الله سـبحانه وتعالى لأنـه أعطى للعـالم التوفيق والسـعادة لزواج الرسـول صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام الطاهرة.[٩٦]

وبصورة عامة، أمر الاسـلام بأداء صلاة الشـكر مقابل النعم الالهية الكبيرة والنحر وتجديد ذكرى ذلك اليوم كما جاء في سورة الكوثر.

قـام الرسـول صلى الله عليه وآله بعد هذا الزواج المبارك بشـكر الله وبالاعمال الصالحة الكثـيرة، منها أنه اعتق «أم أيمـن» جاريـة والدتـه والتي ورثها من بعـد والدته[٩٧]، وحسـب قول البعض أنها كانـت جارية هالة أخت خديجة عليها السلام وكانت قد وهبتها للرسول صلى الله عليه وآله.[٩٨]

الرد العاقل لخديجة عليها السلام على النساء المعترضات

وتكلم بعض قريش من المبغضين ونساءهم بالازدراء على خديجة عليها السلام لأنها تزوجت محمد صلى الله عليه وآله، حيث قلن كيف تتزوج خديجة بكل حشمتها ووقارها محمد صلى الله عليه وآله يتيم أبي طالب الفقير، أليس هذا عار؟

وبلـغ الخبر إلى خديجة عليها السلام فصنعت طعاما ودعت نسـاء المبغضين، فلـما اجتمعن وأكلن قالت لهن: معاشـــر النسـاء بلغني أن بعولتكن (وأنتم) عابوا علي فيما فعلته من أني تزوجت محمداً، وأنا أسـألكم هل فيكم مثله، أو في بطن مكة شكله من جماله وكماله وفضله وأخلاقه الرضيّة؟ وأنا قد أخذته لأجل مـا قـد رأيت منه، وسـمعت منه أشـياء مـا أحد رآها، فـلا يتكلم أحد فيـما لا يعنيه، فكـف كل منهن الكلام.[٩٩]

وسـكوتهم هذا يدل عـلى أنهن ليس لديهن أي كلام، وأن خديجة عليها السلام أقدمـت على هذا العمل بكل عقلها ورضا الله.

هجرة النساء لخديجةعليها السلام ولطف الله بها

عندما تزوجت خديجة بالرسولصلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها ولا يسلّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، واستمرت هذه الهجرة لسنوات بعد الزواج بحجّة أنها تزوجت يتيم عبد الله الفقير بالرغم من أموالها الطائلة وقد استوحشت خديجة من ذلك.

وحملت السيدة خديجةعليها السلام بفاطمة الزهراء سلام الله عليها بعد مرور عشرين سنة من زواجها بمحمدصلى الله عليه وآله.

عندما حضرت ولادتها، وجّهت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: «عصيتينا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمدا يتيم أبي طالب فقيرا لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً.

فاغتمت خديجةعليها السلام لذلك، لكن لم ينسها الله سبحانه وتعالى وألطف بها، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن، فقالت لها إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فإنا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه صفراء بنت شعيب، بعثنا الله تعالى إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء.

فجلست واحدة عن يمينها، والاخرى عن يسارها، والثالثة من بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت خديجة فاطمةعليها السلام طاهرة مطهّرة، فلما سقطت الى الارض أشرق منها النور في جميع بقاع الارض.[(١٠٠)]

نعم استمرت هجرة النساء لخديجةعليها السلام حتى بعد مرور عشرين سنة من زواجها.

تحطيم القواعد واختيار القيم العالية

بلا شك وترديد، أنه كان رسول اللهصلى الله عليه وآله شاب جميل وحسن الوجه وذو قامة جيدة ومن أسرة أصيلة، وكانت الفتيات الجميلات مستعدة للزواج به، ولم يكن هناك أي مانع أمام ذلك.

وأيضا لا يوجد ترديد بأن خديجةعليها السلام ذات الحشمة والوقار كانت تستطيع أن تتزوج من رجال أثرياء وملوك (كما خطّابها أغلبهم من هذه الفئة) وتعيش معهم بسعادة ورفاه واسع، كما هو الواقع بين الناس في أغلب بقاع العالم وخاصةً في الجزيرة العربية، حيث كانت القواعد والملاكات تدور حول محور الثروة والقوة والسعادة.

إذن، لماذا تزوج محمدصلى الله عليه وآله بأرملة عمرها أربعين سنة؟ ولماذا اختارت خديجةعليها السلام يتيم وفقير كزوج لها؟

الحقيقة هي أن هذا الزواج قام على أساس من القيم والأصول وتحطيم القواعد السائدة، وليس على أساس من التقليد الأعمى ومطابقة الأجواء المحيطة، والأهواء الشهوانية والقواعد الماديّة،كان ملاكهما في الاختيار هو السيرة الطاهرة النجيبة وليس صورة بلا سيرة.

فحطّما كل الملاكات والمعايير وقواعد الزمان، الملاكات والقواعد التي بنيت على أساس من التعصّب الجاهلي.

ألا يتوجه الجهلاء أو العلماء المغرضين الذين ينسبون الى الرسولصلى الله عليه وآله حبّ النساء والتمتع بهن، أن الرسولصلى الله عليه وآله لم يتزوج حتى صار عمره خمسة وعشرين سنة؟

وأنه بعد ذلك عاش مع خديجةعليها السلام لمدة خمسة وعشرين سنة يعني مع امرأة عمرها أربعين سنة وكانت زوجته من الاربعين سنة الى الخمسة وستين سنة أي امرأة عجوز وبالرغم من ذلك لم يتزوج عليها بأي امرأة أخرى في حياتها.

ألا يدل زواج رجل عمره خمسة وعشرين سنة الى خمسين سنة بامرأة عمرها أربعين سنة وحتى خمسة وستين سنة على أن محمدصلى الله عليه وآله بنى زواجه على أساس من القيم؟

مع التوجه الى أن الرسولصلى الله عليه وآله لم يتزوج أثناء حياة السيدة خديجةعليها السلام وبعد مرور سنة من وفاتها.[١٠١]

ومن جهة أخرى، أيضا حطّمت خديجةعليها السلام القواعد أمام شماتة الناس وخاصةً النساء، وقاومت ولم تعتني بثرثرتهن وهذيانهن، وبيّنت عملياً أن المعيار الصحيح لاختيار الزوج هو العقل والاخلاق الحسنة، والشهامة والايمان وليس الثروة و الرفاهية واللعب واللهو الشهواني، وكما قلنا قالت بكل صراحة للمعترضات: هل فيكم مثله؟ أو في بطن مكة شكله من جماله وكماله وفضله وأخلاقه الرضيّة؟ وأنا قد أخذته لأجل ما قد رأيت منه...[١٠٢]

وهذا درسٌ كبير علمنا إياه الرسولصلى الله عليه وآله والسيدة خديجةعليها السلام بأن الجمال ليس الملاك بل الملاك الأساسي في الاختيار يجب أن يكون المعرفة والتقوى.

وعلى هذا الأساس كان يقول الرسولصلى الله عليه وآله للنساء:

«إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه».[١٠٣]

وقال أيضا: «وإيّاكم وخضراء الدّمن».

سأل شخص: ما تقصد بذلك؟

قال: «المرأة الحسناء في منبت السّوء».[١٠٤]

ترك التمتع في عنفوان الشباب

انه معروف بين الناس أن الذي يحصل على ثروة طائلة بلا تعب وبلا مشقة يبددها على هواه و على أهوائه النفسية والشهوانيّة فيضيّع الثروة ويهدرها، وخاصةً اذا حصل على هذه الثروة شاب في مقتبل عمره وعنفوان شبابه وفي بداية زواجه، حيث تكون شهوته أكثر وغالبة عليه.

يقول الشاعر سعدي في كتاب البستان:

مرّ موسى عليه وعلى نبيّنا السلام على فقير وكان حافي القدمين من شدة فقره، ونائم على الحصى في الصحراء، قال له: «يا موسى! ادع لي ربّي حتّى يرزقني من المعاش قليلاً فإن نفسي ملّت الصبر».

فدعا له موسى وذهب الى المناجاة في جبل طور.

بعد عدة أيام، عاد موسى من نفس الطريق، ورأى أن الفقير قد قُبض عليه والناس ملتفّين حوله، فسأل: ماذا حصل؟

قال الجمع: إن هذا الشخص شارب الخمر ومعربد وقاتل وقد قبض عليه لإجراء القصاص عليه ألا وهو الإعدام.

قال الله سبحانه وتعالى في القرآن:

«ولو بسط اللهُ الرّزقَ لعبادِهِ لبغوا في الأرض».(الشورى:٢٧)

فأقرّ موسىعليه السلام بالحكمة الالهية واستغفر من تجرّأه وتاب.

وكما قالوا: إن الأب عنده عسل كثير ولكن العسل غير مفيد لابنه الذي مزاجه حار.[١٠٥]

وهنا نعود الى أصل المطلب، عندما تزوج محمدصلى الله عليه وآله من خديجةعليها السلام، جعلت خديجةعليها السلام كل أموالها الطّائلة والغير محدودة تحت تصرف الرسولصلى الله عليه وآله، وكان الرسولصلى الله عليه وآله آنذاك في عنفوان شبابه وكان كل وسائل الترفيه جاهزة ومهيّئة له، وكانت الأوضاع المحيطة بالرسولصلى الله عليه وآله والغريزة الشبابية تقتضي بأن يوسّع على نفسه بساط العيش والعشرة ويشبع غرائزه الشبابية كأغلب الشباب، وكانت الأجواء المحيطة تشوّقه وتساعده على هذا واذا فعل خلاف ذلك كان يقع تحت التوبيخ والعقاب والملامة ولكن محمدصلى الله عليه وآله كان ممجد، لم يتعلّق قلبه أبداً بالترفيه واللهو واللعب الشهواني ذو العمر القصير، كان يهرب من الغفلة والتسلية وبدلا عن ذلك كان يذهب الى جبال مكة ويفكر في عظمة الخالق والخلق ويزيد من درجات عرفانه.

كما كان دار خديجةعليها السلام قبل الزواج مركزاً لمحبة الفقراء واليتامى والأرامل، كان كذلك بعد الزواج

ولكن بصورة أفضل وأسرع وتحت رقابة محمدﷺ.
لم يصرف محمدﷺ ثروة خديجةعليها السلام في الترفيه والتسلية أبداً بل كان يصرفها مع زوجته بكل بساطة في تأمين معاش المحتاجين وأحيانا كان يساعد أفراد مثل والدته بالرضاعة حليمة السعدية التي جاءت إليه من البادية وشرحت له الجدب والقحط الذي أصابهم وبيّنت له مدى احتياجاتهم، فساعدها محمدﷺ وخديجةعليها السلام بكل ترحيب من أموالهم، وبسط الرسولﷺ عباءته على الأرض وأجلس عليها والدته بالرضاعة حليمة السعدية بكل احترام وتقدير وبعد الضيافة أعطاها مساعدات كثيرة من قبيل الشاة والبعير، وقد فرحت حليمة بذلك وودّعها الرسولﷺ وعادت الى البادية.(١٠٦)
وهذا أيضا درس أخلاقي واجتماعي واقتصادي كبير علّمنا إيّاه محمدﷺ وزوجته الطيّبة والمخلصة، بأنه يجب أن تصرف الثروة في الطريق الصحيح، والابتعاد عن أي إسراف والمصاريف الغير مناسبة فإن التمتع بالنساء واللهو والأهواء الشهوانية عمل حيواني، ويجب على الانسان أن يعدّي هذه الحدود ويرجّح اللّذة المعنوية على اللّذة الحيوانية، وبصورة عامة يرى اللّذة الحقيقية في الامور المعنوية ومساعدة المحتاجين، كما يقول الشاعر سعدي:

أكر لذّت ترك لذّت بداني
دكر لذّت نفس لذّت نداني
اذا عرفت أن اللّذة هي ترك اللّذة
فستعلم أن لذّة النفس ليست لذّة

إن مسألة الإسراف والتبذير هي من الأمور الكبيرة التي بها ييأس الإنسان من الحياة ويجلب العذاب ويسقط، يقول أمير المؤمنين عليعليه السلام في هذا المجال:
ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذيرٌ وإسرافٌ، وهو يرفع صاحبه في الدّنيا ويضعه في الآخرة.(١٠٧)

شرح قصير في تعدد زوجات الرسولﷺ

من التهم الغير اللائقة التي أُتهم بها الرسولﷺ هي مسألة الزواج المتكرر للرسولﷺ حيث استدلوا على ذلك أن الشهوة الجنسية قد طغت على الرسولﷺ وسيطرت عليه، لذا يجب أن نشير هنا الى سر ورمز الزواج المتعدد للرسولﷺ بصورة قصيرة:
بصورة عامة تتلخّص أسباب الزواج المتعدد للرسولﷺ والائمةعليهم السلام في السبع المحاور الآتية:
١- بناء أسرة وتوليد النسل.

٢- حفظ كرامة وشخصية النساء وتربيتهن.
٣- حفظ النساء من الفساد الأخلاقي.
٤- تحطيم سنن الجاهلية وإحياء سنّة الاسلام المعقولة.
٥- إرضاء الغرائز الجنسية.
٦- كفالة النساء اللاتي ليس لهن معيل ولا كفيل.
٧- الحصول على مواقع سياسية واجتماعية لنشر الإ[1]سلام وتقدّمه.

لم يتزوج أحد من الائمة عليهم السلام بعدّة زوجات كما تزوج النبي صلى الله عليه وآله، ولكن زواجه لم يكن للشهوة أو الغريزة الجنسية أبداً، ويجب أن نقول للذين يتّهمونه بذلك: هل إعالة وكفالة عدد من النساء - واللاتي أغلبهن أرامل وتعدوا الخمسين سنة - فيما عدا اثنتين - وكل واحدة تعيش في كوخ طيني صغير وبسيط وبدون أثاث هو الحصول على اللّذة الشهوانية؟ أليس من العار أن يستخدم هذه التعابير والألفاظ في شخصيّة ملكوتية وكبيرة كمحمد صلى الله عليه وآله؟

توضيح:

ان محمد صلى الله عليه وآله لم يتزوج الى أن أصبح عمره خمسة وعشرين سنة، وبعد الخمسة والعشرين سنة تزوج بسيّدة تسمى خديجة عليها السلام عمرها أربعين سنة واشتهرت بأنها متزوجة من قبل بزوجين وتوفّيا، ولها أولاد منهما.

وعاش معها في حدود خمسة وعشرين سنة (من الخامس عشر قبل البعثة الى العاشر بعد البعثة)، لذا لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله زوجة في عنفوان شبابه (أي من الخمسة عشرة سنة الى الخمسة والعشرين (عشر سنوات))، ثم من خمسة وعشرين سنة الى الخمسين سنة عاش مع امرأة عمرها أربعين سنة وحتّى أصبح عمرها الخامسة والستون سنة.

ولم يتزوج الرسول محمد صلى الله عليه وآله في حياة السيدة خديجة عليها السلام بأية امرأة أخرى قط، بالرغم من أنه كان يستطيع أن يتزوج ولم يكن هناك أي مانع يمنعه عن ذلك، ومن بعد وفاة السيدة خديجة عليها السلام لم يتزوج لمدة سنة.[(١٠٨)]

فهل حقّاً يمكن أن يتهم الساحة المقدّسة لشخص قضى اللحظات السعيدة من عمره خمسة وثلاثين سنة من عمره (من خمسة عشرة سنة الى الخمسين) هكذا بالرغم من وجود الوسائل ويسرها، بحبه للشهوة؟ حقّاً إنه لا إنصاف في ذلك.

تزوج الرسول صلى الله عليه وآله سودة بنت زمعة بعد موت السيد خديجة عليها السلام بسنة في السنة الحادية عشرة من

١

البعثة، وكانت عند السكران بن عمرو، من مهاجري الحبشة فتنصر ومات بها.

فظلّت سودة بلا كفيل، فتزوجها الرسول صلى الله عليه وآله لحفظ كرامتها وتكفّلها.

بعد مدة تزوج الرسول صلى الله عليه وآله بعائشة بنت أبي بكر وهي ابنة سبع قبل الهجرة بسنتين، ويقال: كانت ابنة ست ودخل بها بالمدينة في شوال وهي ابنة تسع، ولم يتزوج غيرها بكراً، وعندما كان الرسول صلى الله عليه وآله في مكة لم يتزوج غيرهما (سودة وعائشة).[١٠٩]

تزوج الرسول صلى الله عليه وآله بعدّة نساء بعد هجرته الى المدينة لعوامل سياسية واجتماعية، إنسانية وعاطفية، واللاتي أغلبهن كن فوق الخمسين سنة، وبعضهن لم يكن جميلات.

وأول امرأة تزوجها الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة كانت «أم سلمة» واسمها هند بنت أميّة المخزومية، وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب، وكانت عند أبي سلمة بن الأسد بعد وقعة بدر من سنة اثنتين من التاريخ. وجُرح أبو سلمة في غزوة أحد وبسبب ذلك توفى بعد مدة واستشهد.

عندها تزوج النبي صلى الله عليه وآله بأم سلمة، وهذا الزواج كان غالباً عليه الجانب العاطفي وكفالة الأيتام وحفظ كرامة أم سلمة.

تزوجها الرسول صلى الله عليه وآله في السنة الرابعة من الهجرة وكانت امرأة كبيرة بالسن.[١١٠]

والزواج الآخر لرسول الله صلى الله عليه وآله كان زواجه بحفصة بنت عمر بن الخطّاب، وكانت عند خُنيس بن عبدالله بن حذافة والذي توفى في المدينة في السنة الثالثة من الهجرة، بعد مدة من وفاة زوجها تزوجها الرسول صلى الله عليه وآله، وكان غالب على هذا الزواج الجانب العاطفي والسياسي، حيث أدّى الى إطمئنان وسكينة عمر بن الخطّاب وتقوية العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وآله وقبيلة عدي.[١١١]

الزواج الآخر كان زواجه بزينب بنت جحش ابنة عمته أميمة .

توضيح:

كان زيد بن حارثة غلام الرسول صلى الله عليه وآله فأعتقه النبي صلى الله عليه وآله وزوّجه زينب بنت عمّته والتي كانت قرشية، ثم لم يتّفقا وطلّقها زيد فتزوّجها الرسول صلى الله عليه وآله.

في ذلك العصر كان زواج الغلام أو الذي أعتق من قبل بسيّدة من طوائف العرب عار وعيب، وكذلك الزواج بامرأة العبد المطلقة كان عيباً وعار، فحارب الرسول صلى الله عليه وآله هذه العادة والسنّة الخاطئة، وقام بتزويج زينب بزيْد، وبعد طلاقها، تزوج الرسول صلى الله عليه وآله زينب، وبهذا الترتيب حطّم ونقض سنّتان باطلتان عملياً.

وكذلك كان زواج الرسول صلى الله عليه وآله بجويرية بنت الحارث، فقد كانت أرملة وجارية، فاشتراها النبي صلى الله عليه وآله ثم أعتقها وبعد ذلك تزوجها.[١١٢]

كان زواج النبي صلى الله عليه وآله بأم حبيبة بنت أبي سفيان وصفيّة بنت حي بن الأخطب (والتي كانت يهودية وأسرت بواسطة المسلمين) وميمونة بنت حارث الهلالي، وماريّة القبطية لحفظ كرامتهن ولأسباب عاطفية يطول شرحها هنا، ولتوضيح المطلب سنشرح حال أمّ حبيبة ومارية القبطية فقط ونكتفي بهما:

أمّ حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة أسلمت في بداية البعثة برغبة من والدها وأهلها، وكانت تحت عبيد الله ابن جحش الأسدي وبسبب تعذيب المشركين للمسلمين هاجر بها الى الحبشة وتنصّر بها، ومات هناك.

فأحسّت أم حبيبة بالوحدة، ووصل هذا الخبر الى الرسولصلى الله عليه وآله، ولحفظ كرامتها بعث الى النجاشي قائد الحبشة بأن يخطبها له، فأعدّ النّجاشي مجلس عظيم، وتم عقد زواجه على أم حبيبة بواسطة «عمرو بن أميّة» وكيل الرسولصلى الله عليه وآله، في السنة الخامسة من الهجرة عاد المهاجرين الى المدينة ودخلت أم حبيبة دار النبيصلى الله عليه وآله.

كانت أم حبيبة ذات استقامة وثبات في سبيل الاسلام، حيث عندما جاء والدها أبا سفيان بعد نقض صلح الحديبية، الى المدينة للمحادثة ودخل بيت الرسولصلى الله عليه وآله، وأراد الجلوس على مسند الرسولصلى الله عليه وآله، التقطته أم حبيبة، فتضايق أبو سفيان وقال: هل ترفضين أن أجلس هنا؟ قالت أم حبيبة: نعم هذا البساط محل جلوس النبيصلى الله عليه وآله وأنت مشركٌ نجس ولا يحل لك الجلوس عليه، إني لا أسمح بجلوس مشرك بمحل أشرف وأطهر الموجودين في الخلق.[(١١٣)]

فهل يجوز ترك امرأة كهذه وحيدة، أم أنه من الأفضل احترامها وحمايتها وحفظ كرامتها وشرفها؟!

لذلك، تزوجها الرسولصلى الله عليه وآله، وكانت تفتخر بذلك.

النتيجة:

إن جميع القرائن والشواهد توضّح وتبيّن أن السبب وراء تعدد زوجات النبيصلى الله عليه وآله كان منزّه عن أي غرائز جنسية والشهوات وإنما كان ذلك لعوامل سياسية، اجتماعية، عاطفية وإنسانية.

وأمّا بالنسبة لماريّة القبطية، فقد كانت إحدى زوجات النبيصلى الله عليه وآله وكانت جارية مقوقس ملك الاسكندرية، ولأنها أسلمت قرر مقوقس بأن يبعثها مع هدايا أخرى الى النبيصلى الله عليه وآله.

وكان لماريّة أخ يسمى «مابور»، فعندما علم بإسلام ماريّة أسلم هو الآخر.

فتزوجها النبيصلى الله عليه وآله في السنة السابعة من الهجرة بعنوان ملك اليمين، ورزق منها ولد سمّاه إبراهيم،

وتوفى إبراهيم في السنة الثامنة من الهجرة وكان عمره حينذاك ستة عشرة شهر وثمانية أيام أو ثمانية عشرة شهر، فحزن النبيﷺ عليه كثيراً، لأنه يحبه جداً، وعندما بشّره أبو رافع بولادة إبراهيم فرح جداً ووهبه عبد من عبيده.[١١٥]

النتيجة:

تم زواج مارية بإقدام من الرسولﷺ حيث كانت هبة ممنوحة له، ولأنها أسلمت وكانت غريبة في المدينة، جلّلها الرسولﷺ وكفّلها ليجبر بخاطرها من إهمال وعدم إعتناء أهلها بها، فكان زواجه منها لأسباب سياسية وعاطفية.

عليّعليه السلام نور عين خديجةعليها السلام في طفولته

ولد عليّعليه السلام وفتح عينيه للعالم بعد مرور خمس سنوات من الزواج المقدّس لرسول اللهﷺ بخديجةعليها السلام، كان الرسولﷺ يحب عليّاً جداً، ودائماً كان يراقبه ويلاطفه ويدلله عند النوم واليقظة، وأحياناً يأخذه في حضنه وأحياناً يضعه على كتفيه ويسعده ويفرّحه بإعطائه أنواع الهدايا

رأت خديجةعليها السلام وجد الرسولﷺ بعليعليه السلام ومحبته، فكانت تستزيده وتزيّنه وتحلّيه وتلبسه وترسله مع ولائدها، ويحمله خدمها.

لذلك كانت خديجةعليها السلام تذهب دائماً الى بيت أبي طالب وكانت ألطافها تطرق منزل أبي طالب وزوجته فاطمة بنت أسد، ليلا ونهارا، صباحا ومساءا.

وكانت محبتها ظاهرة لعليعليه السلام لدرجة أن الناس كانوا يقولون: هذا أخو محمّدٍ وأحبُّ الخلق إليه وقُرّةُ عين خديجة.[١١٦]

تعاون السيدة خديجةعليها السلام في الحياة العارفة لمحمدﷺ

كان الرسولﷺ يذهب الى غار حراء قبل البعثة عدّة مرات في كل شهر ليلا ونهارا، وفي كل أيام شهر رمضان من كل سنة، وهناك يعبد الله سبحانه وتعالى برؤيته لعظمة الخلقة وإدراك كمال معرفة الله، بعبادات ممزوجة بالتعقل والتوجّه والتبصّر العميق.[١١٧]

يقع جبل حراء على بعد ستة كيلومترات شمال شرق مكة حيال الطريق المؤدّي الى مكة من عرفة، وينفصل هذا الجبل عن باقي جبال مكة.

يقع غار في مقدمة قلة الجبل ويسمى بغار حراء، ويتكون الغار من الصخور الكبيرة في الجبل ويطل الغار على الكعبة، وارتفاعه وطوله كطول الانسان المتوسط الطول، ويسع الغار لشخص واحد

فقط.

عندما يكون الانسـان على الجبل فإنه يرى جلال وجبروت الله وعظمة خلقه وجمال الطبيعة الذين يظهرون آثار الله سـبحانه وتعالى وجلاله، وهناك لا يفكر الانسـان بأي شيء آخر سـوى الله سـبحانه وتعالى وعظمته.

قال الامام الهاديعليه السلام: ان رسـول اللهصلى الله عليه وآله لما ترك التجارة الى الشـام، وتصدق بكل ما رزقه الله تعالى مـن تلـك التجـارات كان يغدو كل يـوم الى حراء، يصعـده وينظر من قللـه الى آثار رحمـة الله، وأنواع عجائـب رحمته وبدائـع حكمته، وينظر الى أكتاف السـماء وأقطار الأرض والبحـار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويتذكر بتلك الآيات ويعبد الله حق عبادته.[١١٨]

كانـت هـذه هي العظمة الحقيقية في حيـاة ووجود محمدصلى الله عليه وآله حيث بدأت نبوتـه بعد خضوعه لتلك العظمـة، نعم كان الرسـولصلى الله عليه وآله يود أن ينفصل عن الأمـور المادية البحتة وينفرد مع معشـوقه الحقيقي خاصةً عند بلوغه الأربعين سنة.

كانت خديجةعليها السلام تدرك وجود محمدصلى الله عليه وآله وهـي على مشارف الخمسة والخمسين سنة، ولم تكن تقطع عليه خلوته ووحدته، ولم تسـعى أبداً في تعكير صفو خلوته وأنسـه بالله لأمـور حياتها، بل عندما كان الرسولصلى الله عليه وآله يتوجّه الى جبل حراء (حيث الصعود الى قلّته صعب جداً وليس بمقدور أي أحد صعوده) تـسرع إليـه وتودّعه وتنظر إليـه وإلى قامته حتّى يختفي عن أنظارها، وأحياناً كانت تذهب بنفسـها إليه وتأخـذ معهـا الطعام والمـاء، وأحيانا كانت تفوّض أشـخاصاً لمراقبته عن بعيـد دون أي تعكير لصفو خلوته.

نعم، إن الرسـولصلى الله عليه وآله كان يريد زوجة لا تقطع عليه أعماله العرفانية والمعنوية العظيمة فقط بل كان يريدها أن تكون مساعدة ومعينة ورفيقة حقيقية له وذات ثبات، فكانت خديجةعليها السلام كذلك.

بالرغـم مـن أن الرسـولصلى الله عليه وآله لم يصل الى النبوة ولم تطلع شـمس الاسـلام ولم يكـن أي حديث عن التوحيد إلا أن عقيدة خديجةعليها السلام وإيمانها كانا نفس عقيدة وإيمان الرسـولصلى الله عليه وآله، وكانت تعينه وتسـاعده في هـذا المجـال، وكانت ترتبـط به ارتباطا معنويا خاصا، والدليل على ذلك انـه في بداية البعثة لما دخل الرسولصلى الله عليه وآله الدار، رأت خديجةعليها السلام أن الدار قد نوّرت فقالت: ما هذا النور؟

قال: هذا نور النبوّة، قولي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

فقالت: طال ما عرفت ذلك.[١١٩]

كتب العلامة المجلسي: أنه روى في كتب الصحاح: أنه كان مع الرسـولصلى الله عليه وآله في غار حراء في شـهر رمضان عند بداية الوحي والبعثة وجاوره عليّعليه السلام وأهله خديجةعليها السلام وخادم[١٢٠] لهما.[١٢١]

نعـم، هـذه هي حماسـة خديجةعليها السلام العرفانيـة والملكوتيـة عند ابتـداء البعثة، حيث كانـت الصديقة والمعينة والمؤنسـة المخلصة لرسـول اللهصلى الله عليه وآله، وفي الواقع كما كان الرسولصلى الله عليه وآله يستقبل البعثة (وفي ظروف صعبـة وضغـوط معنوية حتى يسـمع أول آية قرآنية والاسـلام من الوحي الأمـين) كانت خديجةعليها السلام وعليّعليه السلام يسـتقبلانها، وشـاركا في هذا الاستقبال، وبينما كان سائر الناس يعبدون الاصنام وغارقين في الأهواء والشهوات كانت خديجةعليها السلام قدم على قدم مع الرسولصلى الله عليه وآله ولا تنفصل عنه.

مميزات خديجةعليها السلام بلسان سيدنا آدمعليه السلام

في نهايـة هذا الفصل نلفت نظركم لرواية لطيفة جاءت في معاونة خديجةعليها السلام لرسـول اللهصلى الله عليه وآله حيث جاءت على لسـان سـيدنا آدمعليه السلام، وهذه الرواية تبيّن فضل السـيدة خديجةعليها السلام والذي جرى على لسان صفيّ الله وأول إنسان خلق في الكون وذلك بقرونٍ قبل ولادة السيدة خديجةعليها السلام وهي التالي:

روى أن آدمعليه السلام قـال: إني لسـيد البـشر يـوم القيامـة إلا رجل من ذريتـي نبي من الأنبيـاء يقال له: محمـدصلى الله عليه وآله، فضّل عليّ باثنتين: زوجته عاونته وكانت لـه عونا، وكانت زوجتي علي عونا، وان الله أعانه على شيطانه فأسلم، وكفر شيطاني.[١٢٢]

الفصل الثاني

السيدة خديجة عليها السلام
أول امرأة مسلمة وتضحياتها

خديجة‌عليها‌السلام أول امرأة أسلمت

نبدأ الحديث من هنا: قال الإمام الحسين‌عليه‌السلام في يوم عاشوراء في خطبته حيث عرّف نفسه وقال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلدٍ أوّل نساء هذه الأمة إسلاماً؟

قالوا: بلى.[١٢٣]

جاء باتفاق جميع المسلمين وكل التاريخ أن أول امرأة أسلمت كانت السيدة خديجة‌عليها‌السلام، وأول رجلٍ أسلم كان أمير المؤمنين عليّ‌عليه‌السلام، وكما قلنا سابقاً أن خديجة‌عليها‌السلام وعليّ‌عليه‌السلام كانا مع الرسول‌صلى‌الله‌عليه‌وآله في غار حراء عند بداية نزول الوحي (وكان يوم الاثنين)[١٢٤]، وفي نفس الوقت آمنا.

نقلت روايات كثيرة في حدّ التواتر في كتب الشيعة وأهل السّنة أن عليّ‌عليه‌السلام هو أول شخص أسلم[١٢٥]، ومؤكّد عندهم أن خديجة‌عليها‌السلام هي أول امرأة أسلمت، ولكن ليس واضح في تلك الكتب بأن هل أسلم عليّ‌عليه‌السلام وخديجة‌عليها‌السلام معاً أم أسلم أحدهما قبل الآخر، ولكن نستنتج من الروايات المتواترة (التي جاءت في الغدير) أنّ أول شخص أسلم هو عليّ‌عليه‌السلام.

وروي في تفسير علي بن إبراهيم أن عليّ‌عليه‌السلام أسلم يوم الثلاثاء، ثم من بعده أسلمت خديجة‌عليها‌السلام.[١٢٦]

نقل العلامة الأميني من كتب السّنة المختلفة أن أبو رافع (أحد أصحاب النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله) قال: صلى النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله أول يوم الاثنين وصلّت خديجة‌عليها‌السلام آخره وصلّى عليّ يوم الثلاثاء من الغد.[١٢٧]

وبرأينا ومع التوجه للروايات المختلفة أن عليّ‌عليه‌السلام وخديجة‌عليها‌السلام صدّقا بنبوّة رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله قبل البعثة على أثر رؤيتهما لمعجزاته وكراماته، وعلى أساس هذا الاعتقاد كانا يتّبعانه، وبمجرد أن تحقق نبوّة الرسول‌صلى‌الله‌عليه‌وآله عند بداية البعثة (٢٧ رجب سنة ٤٠ من عام الفيل أو شهر رمضان في نفس السنة) نطقا

بالايمان في نفس الوقت، وشهدا بوحدانية الله عزّ وجلّ ورسالة محمدﷺ، ولم يكن هناك تأخّر أو تقدّم في ذلك.

إسلام زيد بن حارثة بجانب عليّؑ وخديجةؑ

زيد بن حارثة هو الشخص الثالث الذي أسلم[١٢٨]، كان زيد من أهل اليمن، وفي عصر الجاهلية جاءوا به الى مكة وتم عرضه في سوق عكّاظ كعبد من العبيد، فاشتراه حكيم بن حزام (ابن أخ خديجةؑ) لخديجةؑ قبل البعثة بمدّة، ثم وهبته لرسول اللهﷺ.

عندما أصبح محمدﷺ نبي، دعا زيد بن حارثة للاسلام، فقبل زيد من غير تردد دعوة النبيﷺ، وأسلم، وجاء طبقاً لبعض الروايات أن الرسولﷺ لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج الى سوق عكاظ في تجارة لها، ورأى زيداً يباع ورآه غلاماً كيساً حصيناً فاشتراه لخديجةؑ ثم وهبته خديجةؑ للرسولﷺ، فأعتقه.[١٢٩]

كان لمحبة وعطف خديجةؑ على زيد دور مهم وأثر كبير في إسلامه، وكما ذكرنا من قبل أنه طبقاً لبعض الروايات كان عليّؑ وخديجةؑ وزيد بن حارثة مع رسول اللهﷺ عند بداية البعثة ونزول الوحي في غار حراء.[١٣٠]

كان زيد بن حارثة من المسلمين المؤمنين، فأعلن الرسولﷺ بأن يدعى بزيد بن محمدﷺ، وزوّجه بزينب ابنة عمته والتي كانت قرشياً، وجلّله وقدّره كحُرّ مثل سائر الأحرار.

حارب الأعداء في الحروب الاسلامية بجانب الرسولﷺ، وضحّى الكثير في سبيل الاسلام، ثم استشهد في غزوة مؤته والتي نشبت في الشام في السنة الثامنة من الهجرة، كثاني حامل لراية الاسلام (حيث كان الأول هو جعفر الطّيار).

جاء طبقاً لبعض الروايات، أن خديجةؑ في بداية الاسلام أسلمت سريعاً، وتبعها أيضا زيد الذي كان غلامها وأسلم، قال الرسولﷺ لخديجةؑ: هبي لي زيد، فوهبته زيد ثم أعتقه الرسولﷺ.[١٣١]

يقول ابن حجر العسقلاني: عندما ملكت خديجةؑ زيداً، ذات يوم أحسّت أن الرسولﷺ يحب زيداً، فوهبته زيداً، وكان هذا العمل سبباً لإسلام زيد بعد إسلام خديجةؑ، وجعله من أوائل المسلمين.[١٣٢]

كيفية إسلام خديجةؑ ولقائها بورقه بن نوفل

مضى أربعين سنة من عمر النبيﷺ وجاء يوم السابع والعشرين من رجب، وكان النبيﷺ منهمك

في مناجـاة الله عـزّ وجـلّ وعبادته في غار حـراء، وكان عليّعليه السلام وخديجةعليها السلام بجانبـه، فنزل عليه الوحي جبرئيل الأمين، وبشّره بالرسالة وقرأ عليه هذه الآيات من الله سبحانه وتعالى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اقرأ باسم ربّك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربّك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الانسان ما لم يعلم».(١٣٣)

وبتلقّي الرسولصلى الله عليه وآله أول شعاع الوحي، تعب جداً وجاء عند خديجةعليها السلام وقال: زمّلوني ودثّروني.

ومـن جهـة أخـرى كان بيان وإعـلان الرسـالة للمشركين عملٌ خطـير وصعب للغايـة، وكان قد وقـع الرسـولصلى الله عليه وآله تحت ضغـوط معنوية (الوحـي)، وظاهرية (المبـارزة ضد المشركـين)، وعندما كان الرسولصلى الله عليه وآله يستريح في فراشه نزل جبرئيلعليه السلام بالآيات الأولى لسورة المدّثّر (١-٧): ﴿**يا أيها المدّثّر، قم فأنذر، وربّك فكبّر، وثيابك فطهّر، والرّجز فاهجر، ولا تمنن ولا تستكثر، ولربّك فاصبر**﴾.

بالرغـم مـن ان الرسـولصلى الله عليه وآله كان متيقّـن مـن أن الـذي حصـل لـه هـو من عنـد الله ومن رسـوله جبرئيلعليه السلام، إلا أنه اضطرب وخاف، ولكن اضطراب الرسولصلى الله عليه وآله كان طبيعياً، لأن الروح مهما كانت قويّـة وتتحمل وترتبط ارتباطاً روحانيّاً بالغيـب إلا أنها في البداية عند لقائها بالملائكة التي لم تلتقي بها من قبل وعلى قمة الجبل، ستضطرب وتخاف.

جاء الرسـولصلى الله عليه وآله الى البيت في مثل تلك الحالة وكان الشـخص الوحيد الذي اسـتقبله وصبّره وثبّته بقوّة قلبية وسكّنه هو السيدة خديجةعليها السلام.

كانت ابتسـامتها تطمئنه وتسـكّنه وترفع الاضطراب والخوف من وجه محمدصلى الله عليه وآله وتخرجه من هذه الحالة، كانت تقول بابتسـامتها اللطيفة: بشراك يا رسـول الله، أقسـم بالله، إن الله لا يريد لك إلا الخير، فابشر فإنك رسول الله سبحانه وتعالى.(١٣٤)

بالرغـم من أن خديجةعليها السلام كانت مطمئنّة بحقانيّة الوحي وطلوع أول الاسـلام، إلا أنها كانت تريد مثل جدّها التاسـع والعشرين ابراهيم الخليل عليه وعلى نبيّنا السـلام أن يطمئن قلبها (كما جاء في الآية ٢٦٠ من سورة البقرة).

لذلك كانت تستشير كثيرا ابن عمّها ورقة بن نوفل في هذا الأمر وتطلب منه إبداء رأيه.

قـال ورقـة: يـا خديجة، فـإذا أتته الحالة فاكشـفي عن رأسـك فإن خـرج فهو ملـك، وإن بقي فهو شيطان، فنزعت خمارها فخرج الجائي، فلمّا اختمرت عاد.(١٣٥)

وعـلى هذا الأسـاس، روي أن خديجةعليها السلام قالت لرسـول اللهصلى الله عليه وآله وحتى تطمئـن وتبعد عن قلبها أي شك: أي يا بن العم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟

قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني.

فجاء جبرئيل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لخديجة عليها السلام: يا خديجة، هذا جبرئيل قد جاءني.

قالت: قم يا بن العم فاجلس على فخذي اليسرى، فقام الرسول صلى الله عليه وآله فجلس عليها، قالت: هل تراه؟، قال: نعم.

قالت: فتحوّل فاقعد على فخذي الأيمن، فتحوّل، فقالت: هل تراه؟، قال: نعم.

قالت: فاجلس في حجري، ففعل، قالت: هل تراه؟، قال: لا.

قالت: يا بن عم أثبت وأبشر، فوالله إنه لملك وما هو بشيطان.(١٣٦)

وروي أن جبرئيل عليه السلام أخرج قطعة ديباج فيها خط فقال: اقرء، قلت: كيف اقرء ولستُ بقارئ؟ إلى ثلاث مرات، فقال في المرة الرابعة، «اقرء باسم ربك» الى قوله: «ما لم يعلم»، ثم أنزل الله تعالى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام ومع كل واحد منهما سبعون الف ملك، وأتى بالكرسي ووضع تاجاً على رأس محمد صلى الله عليه وآله وأعطى لواء الحمد بيده فقال: اصعد عليه واحمد الله، فلما نزل عن الكرسي توجه إلى خديجة عليها السلام فكان كل شيء يسجد له ويقول بلسانٍ فصيح: السلام عليك يا نبي الله.

فلما دخل الدار صارت منورة، فقالت خديجة عليها السلام: وما هذا النور؟

قال: هذا نور النبوّة، قولي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

فقالت: طال ما قد عرفت ذلك، ثم أسلمت.

فقال: يا خديجة إني لأجد بردا، فدثّرت عليه فنام فنودي: «يا أيها المدثر» الآية، فقام وجعل إصبعه في إذنه وقال: الله أكبر، الله أكبر فكان كل موجود يسمعه يوافقه.(١٣٧)

لقاء خديجة عليها السلام بورقة بن نوفل وحديثه

ذكرنا من قبل أن ورقة بن نوفل ابن عم خديجة عليها السلام كان من علماء ورهبان المسيحية وأهل المطالعة وكانت خديجة عليها السلام تستشيره في الاعمال وكان له دور مهم في تحقيق زواج خديجة عليها السلام بالرسول صلى الله عليه وآله.

وبناءاً على بعض الروايات، صمّمت خديجة عليها السلام الذهاب الى ابن عمها العالم ورقة بن نوفل عندما نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وآله وقبل بالاسلام، وشرحت له ما جرى عند طلوع أول الاسلام، فأتت الى ورقة وقالت: أخبرني عن جبرئيل ما هو؟

قال: قدوس قدوس ما ذكر جبرئيل في بلدة لا يعبدون فيها الله.

قالت: إن محمد بن عبد الله أخبرني أنه أتاه.

قال: فإن كان جبرئيل هبط إلى هذه الارض لقد أنزل الله إليها خيرا عظيما، هو الناموس الاكبر الذي أتى موسى وعيسى عليهما السلام بالرسالة والوحي.

قالت: فأخبرني هل تجد فيما قرأت من التوراة والانجيل أن الله يبعث نبيا في هذا الزمان يكون يتيما فيؤويه الله، وفقيرا فيغنيه الله تكفله امرأة من قريش أكثرهم حسبا، وذكرت كلاما آخر.

فقال لها: نعته مثل نعتك يا خديجة؟

قالت: فهل تجد غيرها؟

قال: نعم، إنه يمشي على الماء كما مشى عيسى بن مريم وتكلمه الموتى كما كلمت عيسى بن مريمعليه السلام، وتسلم عليه الحجارة وتشهد له الإشجار.[١٣٨]

خديجةعليها السلام شريكة هموم زوجها ومسكّنته

انه كان من بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنه رأى في المنام رؤيا فشق عليه، فذكر ذلك لصاحبته خديجةعليها السلام، فقالت له: أبشر، فإن الله تعالى لا يصنع بك إلا خيراً.

فذكر لها أنه رأى أن بطنه اخرج فطهر وغسل ثم أعيد كما كان، قالت: هذا خير فأبشر.

كانت خديجةعليها السلام في مثل هذه الظروف، دائماً الصديقة والمؤنسة وشريكة لهموم الرسولصلى الله عليه وآله، وكلما تمر حادثة على رسول اللهصلى الله عليه وآله وتحزنه، كان الله سبحانه وتعالى يفرجها بواسطة خديجةعليها السلام وكانت تثبته وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رحمها الله.[١٣٩]

حديث قصير:

عندما كان النبيصلى الله عليه وآله يواجه المشاكل والهموم والتجريح باللسان خارج المنزل في دعوته الناس للاسلام، كانت خديجةعليها السلام هي المرهم لجروح رسول اللهصلى الله عليه وآله ومسكّنة قلبه، وهذا الموضوع يدلّ على مقام السيدة خديجةعليها السلام التي هي أساس تسكين قلب عالم الامكان والوجود.

لقاء وحديث خديجةعليها السلام بعدّاس

عدّاس هو أحد الرهبان المسيحية والذي كان يعيش في مكّة وكان شيخاً كبيراً.

عندما انصرفت خديجةعليها السلام عن ورقة، ذهبت الى عدّاس الراهب وكان شيخا قد وقع حاجباه على عينيه من الكبر فقالت: يا عداس أخبرني عن جبرئيلعليه السلام ما هو؟

فقال: قدوس قدوس وخرّ ساجدا، وقال: ما ذكر جبرئيل في بلدة لا يذكر الله فيها ولا يعبد.

قالت: أخبرني عنه.

قال: لا والله اخبرك حتى تخبرني من أين عرفت اسم جبرئيل؟

قالت: لي عليك عهد الله وميثاقه بالكتمان؟

قال: نعم.

قالت: أخبرني به محمد بن عبد الله أنه أتاه.

قال عداس: ذلك الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وعيسىعليهما السلام بالوحي والرسالة، والله لئن كان نزل جبرئيل على هذه الارض لقد نزل إليها خير عظيم، ولكن يا خديجة إن الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أمورا، فخذي كتابي هذا فانطلقي به إلى صاحبك فإن كان مجنونا فإنه سيذهب عنه، وإن كان من أمر الله فلن يضره.

ثم انطلقت بالكتاب معها، فلما دخلت منزلها إذا هي برسول الله صلى الله عليه وآله مع جبرئيلعليه السلام قاعد يقرؤه هذه الآيات: «ن، والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وإن كل لاجرا غير ممنون، وإنك لعلى خلقٍ عظيم، فستبصر ويبصرون، بأيّكم المفتون» أي الضال، أو المجنون، فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا.

ثم رآه صلى الله عليه وآله عداس فقال: اكشف لي عن ظهرك، فكشف فإذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه، فلما نظر عداس إليه خرّ ساجدا يقول:قدوس قدوس، أنت والله النبي الذي بشر بك موسى وعيسى عليهما السلام أما والله يا خديجة ليظهرن له أمر عظيم، ونبأ كبير، فوالله يا محمد إن عشت حتى تؤمر بالدعاء لاضربن بين يديك بالسيف، هل أمرت بشئ بعد؟ قال: لا.

قال: ستؤمر ثم تؤمر ثم تكذب ثم يخرجك قومك والله ينصرك وملائكته.

فعاد النبي صلى الله عليه وآله الى داره.(١٤٠)

إسلام ورقة بن نوفل

وبالنسبة لعاقبة ورقة بن نوفل ابن عم خديجةعليها السلام والذي أرشدها بإرشادات قيّمة وخيّرة جاءت روايتان في ذلك، وهنا نلفت نظركم الى تلك الروايتان:

١- كان ورقة بن نوفل شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم اسمع من إبن أخيك.

فقال ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟

فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ورقة: هذا الناموس الاكبر الذي أنزله الله تعالى على موسىعليه السلام يا ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: أو مخرجي هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، ولم يوفّق لأن يعلن ويظهر إسلامه.(١٤١)

والرواية التالية تؤكّد ذلك المطلب:

سأل الرسول صلى الله عليه وآله خديجة عليها السلام: إلى أين وصل ورقة في الاسلام؟

قالت خديجة عليها السلام: لقد صدّقك ولكن أجله لم يمهله وتوفي قبل أن يظهر إسلامه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيته في المنام وعليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض».

ويقول العلامة المجلسي بعد نقل هذه الرواية: يقول مفسّرون الأحلام: الثياب في الأحلام هو الدّين، وبياضه طهارة دينه عن الفساد والانحرافات.(١٤٢)

٢- رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل بهيئته كثيراً في غار حراء مع ميكائيل والملائكة، وقد جاءوا بكرسي من الجنة، وأعطوا الرسول صلى الله عليه وآله لواء الحمد ووضعوا تاج النبوة على رأسه، وقالوا له: اصعد عليه واحمد الله وعمل الرسول صلى الله عليه وآله بذلك...

عندما كان الرسول صلى الله عليه وآله ينزل من جبل حراء ويتجه الى المنزل، كان كل شيء في طريقه يسجد له ويقول بلسان فصيح: السلام عليك يا نبي الله.

عندما رأى الرسول صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام، رآه ورأسه في السماء ورجليه في الأرض وجناحيه يغطي الشرق وغرب الارض وقد كتب بين عينيه: لا أله إلا الله، محمدٌ رسول الله.

قال له الرسول صلى الله عليه وآله: من أنت يرحمك الله، فلم أر مثلك بين المخلوقات في عظمتك وجمال وجهك؟

قال له ذلك الملك العظيم: أنا جبرئيل الروح الأمين، أنزل على كل الأنبياء والرسل.

عندما عاد رسول الله صلى الله عليه وآله الى البيت أخبر خديجة عليها السلام بهذه الحادثة العجيبة، فأتت خديجة عليها السلام ابن عمها ورقة وأخبرته بهذه الحادثة.

قال لها ورقة: ابشري، فإن هذا الملك هو الناموس الأكبر، ثم أنشد بهذه الأبيات:

إنّ ابن عبد الله أحمدُ مرسلُ
الى كلّ من ضمّت عليه الأباطحُ
وظنّي به أن سوف يبعثُ صادقاً
كما أرسل العبدان نوحٌ وصالحٌ
وموسى وابراهيم حتّى يرى له
بهاءٌ ومنشورٌ من الذّكر واضحُ(١٤٣)

صدّق واطمئنّ ورقة بأن محمد صلى الله عليه وآله قد وصل الى مقام الرسالة، حتّى أنه بعد هذه الواقعة، وفي ذات يوم جاء الى الرسول صلى الله عليه وآله عند الطواف بالكعبة وأظهر إيمانه وإسلامه وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله:

أقسم بالله أنك نبي هذه الأمّة، وستأمر عن قريب بالجهاد والمبارزة ضد المشركين، يا ليت يطول عمري حتّى أحارب أعدائك بجنبك.

ثم قبّل رأس الرسول‎ﷺ وأسلم، وكان شيخاً كبيراً وأعمى، وبعد عدّة أيام توفى، وقد تقدّم على جميع أهل مكة - فيما عدا عدّة أشخاص - في القبول بالاسلام بالرغم من أنه كان من العلماء المسيحيين.

وقال الرسول‎ﷺ فيه: لقد رأيت القسّ في الجنّة، عليه ثيابٌ خضرٌ، لأنه آمن بي وصدّقني.[١٤٤]

إسلام وصلاة خديجة‰ في السنوات الأولى الصعبة للبعثة

يقول أمير المؤمنين عليّ‰ في إحدى خطبه التي جاءت في نهج البلاغة:

ولقد كان يجاور كلّ سنةٍ بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الاسلام غير رسول الله‎ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرّسالة وأشُمُّ ريح النّبوّة.[١٤٥]

وهناك رواياتٍ عديدة تؤكّد هذا المطلب، منها:

١- قال أمير المؤمنين عليّ‰ في ردّه على يهوديّ: كنت أول من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاث حجج، وما على وجه الارض خلق يصلى ويشهد لرسول الله‎ﷺ بما أتاه غيري، وغير ابنة خويلد رحمهما الله وقد فعل.[١٤٦]

٢- نقل أسد بن عبد الله البجلي عن يحيى عن عفيف بن قيس الكندي[١٤٧] أنه قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن ابتاع لاهلي من ثيابها وعطرها فأتيت العباس بن عبد المطلب وكان رجلا تاجرا فأنا عنده جالس حيث أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء فارتفعت وذهبت إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة ثم لم ألبث إلا يسيرا حتى جاء غلام فقام على يمينه، ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى جاءت إمرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة فقلت : يا عباس؟ أمر عظيم.

قال العباس : أمر عظيم، أتدري من هذا الشاب؟

قلت : لا.

قال : هذا محمد بن عبد الله ابن أخي. أتدري من هذا الغلام؟ هذا علي ابن أخي. أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، إن إبن أخي هذه أخبرني أن ربه رب السماء والارض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على الارض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[١٤٨].

٣- نقلت هذه الحادثة في رواية أخرى باختلاف بسيط عبد الله بن مسعود ويفضّل ذكرها هنا، يقول:

أول شيء علمته من أمر رسول اللهﷺ اني قدمت مكة مع أعمامي وناس لي من قومي، وكان من أنفسنا شراء عطر فأرشدنا إلى العباس بن عبد المطلب، فانتهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم، فبينا نحن عنده جلوسا، إذ أقبل رجل من باب الصفا، وعليه ثوبان أبيضان، وله وفرة إلى أنصاف أذنيه، جعدة، أشمّ أقنى، أدعج العينين، كثّ اللحية، براق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم، حسن الوجه، تقفوهم امرأة، قد سترت محاسنها، حتى قصدوا نحو الحجر، فاستلمه واستلمه الغلام، ثم استلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبّر، وقام الغلام إلى جانبه، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها وكبّرت، فأطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة، ثم رفع رأسه فأطال، ورفع الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع فلما رأينا شيئاً ننكره، لا نعرفه بمكة، أقبلنا على العباس، فقلنا: يا أبا الفضل، إنّ هذا الدّين ما كنا نعرفه فيكم.

قال: أجل والله.

قلنا: فمن هذا؟

قال: هذا ابن أخي، هذا محمّد بن عبد الله، وهذا الغلام ابن أخي أيضا، هذا عليّ بن أبي طالب، وهذه خديجة بنت خويلد، والله ما على وجه الارض أحدٌ يدينُ بهذا الدّين إلا هؤلاء الثلاثة.[١٤٩]

٤- جاء في رواية أخرى أنه نقل عن عبد الله بن عبّاس أنه قال: بينما رسول اللهﷺ قائم يصلي مع خديجة إذ طلع عليه عليّ بن أبي طالبؑ فقال له: ما هذا يا محمّد؟

قال: هذا دين الله.

فآمن به وصدّقه، ثم كانا يصلّيان ويركعان ويسجدان، فأبصرهما أهل مكّة ففشى الخبر فيهم أن محمداً قد جن، فنزلت: «ن، والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون».[١٥٠]

وبالطبع هناك روايات عديدة تؤكّد بأن عليّؑ هو أول شخص صلّى مع الرسولﷺ.[١٥١]

توضيح عن الصلاة في بداية البعثة

بالرغم من أن الصلاة قد فرضت في ليلة المعراج بناءاً على الأقوال المعروفة حيث حصل المعراج في ليلة السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية أو الثالثة أو الرابعة للبعثة[١٥٢]، فإنّ هناك سؤالاً يُطرح هنا وهو ما هي الصلاة التي كان الرسولﷺ وعليّؑ وخديجةؑ يصلّونها؟

الجواب هو:

١- أن الذي نستفيده من الروايات هو أنه في ليلة المعراج تم تخفيف وتقليل الصلوات والتي كانت خمسين ركعة الى سبعة عشر ركعة.(١٥٣)

٢- أن الصلاة كانت موجودة في بداية البعثة ولكن كيفيتها هي التي اختلفت في السنوات التالية، مثلما تبيّن هذه الحقيقة السور التي نزلت في مكّة في بداية البعثة مثل سورة الكوثر وسورة الماعون....، كما أن من جهة أخرى تتحدث الآية (٤٣) من سورة المدّثّر والتي نزلت عند بداية البعثة عن الصلاة، وأيضا سورة المزّمّل والتي نزلت عند ابتداء البعثة، تتحدث عن الصلاة.

٣- وبالفرض أنه إذا كانت الصلاة لم تفرض بعد، فإن الصلاة المستحبة كانت موجودة.

وبالنسبة الى الأمر بأداء الصلاة في بداية البعثة رُوى أنه: في الأيام الاولى من البعثة ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم الى أعلى مكّة، فأتاه جبرئيل وهو بأعلى مكّة، فغمز بعقبه بناحية الوادي فانفجر عين فتوضأ جبرئيل، وتطهّر الرسول صلى الله عليه وآله، ثم صلّى الظّهر، وهي أول صلاة فرضها الله عزّ وجلّ، وصلّى أمير المؤمنين عليه السلام مع النّبيّ صلى الله عليه وآله، ورجع الرسول صلى الله عليه وآله من يومه الى خديجة فأخبرها، فتوضّأت وصلّت صلاة العصر من ذلك اليوم.(١٥٤)

وروى أيضاً: أنه لما أتى للرسول صلى الله عليه وآله سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله، فينكر ذلك، فلما طال عليه الأمر، كان يوماً بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب فنظر الى شخصٍ يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت؟

قال: أنا جبرئيل، أرسلني الله إليك ليتّخذك رسولاً، فعاد الرسول صلى الله عليه وآله الى البيت، وأخبر خديجة بذلك.

فقالت خديجةعليها السلام: يا محمد أرجو أن يكون كذلك.

فنزل عليه جبرئيل وأنزل عليه بماء من السماء، فقال: يا محمد توضأ، فعلّمه الوضوء والركوع والسجود، فلما تم له أربعون سنة علّمه حدود الصّلاة ولم ينزل عليه أوقاتها فكان يصلي ركعتين ركعتين في كل وقت.(١٥٥)

سرور أبي طالب بصلاة جعفر بجانب عليّ عليه السلام وخديجة عليها السلام

جاء بناءاً على الروايات أنه في الثلاث السنوات الأولى من البعثة لم يكن هناك أحد غير الرسول صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وخديجةعليها السلام الذين صلّوا صلاة الجماعة، وغالباً كانوا يقيمونها في الغارات والأماكن المخفية في الجبال بعيداً عن أنظار المشركين.

ذات يوم مرّ أبو طالب على رسول اللهصلى الله عليه وآله ومعه جعفر الطّيار، فنظر الى رسول اللهصلى الله عليه وآله وعليّعليه السلام بجنبه يصلّيان صلاة الجماعة وتقف خديجةعليها السلام خلفهما، فقال لجعفر: يا جعفر صلّ[١٥٦] جناح ابن عمّك، فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر، واقتدوا به وصلّى صلاة الجماعة.

وفي تلك الحالة أنشد أبو طالب الأبيات التالية وهو مسرور لاسلام جعفرعليه السلام وقال:

إنّ علـيّـاً وجـعـفـراً ثقـتـي
عـنـد مـلـمّ الـزمـان والـكـرب
والله لا أخـذلُ الـنـبـي ولا
يخـذلـهُ مـن بـنـي ذو حـسـب
ولا تخـذلا و انـصـرا ابـن عـمّـكـما
أخـي لأمّـي مـن بـيـنـهـم وأبي[١٥٧]

وجاء طبقاً لبعض الروايات، أن زيد بن حارثة كان معهم أيضاً.[١٥٨]

وهنا أيضا نرى أن خديجةعليها السلام البطلة القوية والثابته اقتدت مع البطل الذي ليس له نظير في التاريخ علـيّعليه السلام بالرسولصلى الله عليه وآله وصلّت من قبل أن يصلّي جعفر الطّيّار، مع التوجه الى أن في ذلك الوقت كان لأداء الصلاة كأمر من الدّين الإسلامي، خطورة الموت الشديد وتعذيب أصعب من الموت.

تصديق خديجةعليها السلام لأوامر الاسلام وبيعتها بالرسولصلى الله عليه وآله وعليّعليه السلام

يقول عيسى بن مستفاد: عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: سألت عن بدء الاسلام كيف أسلم علي؟ وكيف أسلمت خديجة؟

فقال: تأبى إلا أن تطلب أصول العلم ومبتدأه، أما والله إنك لتسأل تفقها، ثم قال: سألت أبيعليه السلام عن ذلك فقال لي: لما دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي ويا خديجة أسلمتما لله وسلمتما له، وقال إن جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الاسلام فأسلما تسلما، وأطيعا تهديا.

فقالا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله.

فقال: إن جبرئيل عندي يقول لكما: إن للاسلام شروطا وعهودا ومواثيق، فابتدءاه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، لم يتخذ ولدا ولم يتخذ صاحبة، إلها واحدا مخلصا، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافة بين يدي الساعة، ونشهد أن الله يحيي ويميت ويرفع ويضع ويغني ويفقر ويفعل ما يشاء ويبعث من في القبور.

قالا: شهدنا.

قال: وإسباغ الوضوء على المكاره، وغسل الوجه واليدين والذراعين ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين، وغسل الجنابة في الحرّ والبرد، وإقام الصلاة، و أخذ الزكاة من حلها، ووضعها في أهلها، وحج البيت، وصوم شهر رمضان، والجهاد في سبيل الله، وبرّ الوالدين، وصلة الرحم والعدل في الرعيّة والقسم بالسوية والوقوف عند الشبهة ورفعها إلى الامام، فإنه لا شبهة عنده، وطاعة ولي الامر بعدي، ومعرفته في حياتي وبعد موتي، والائمة من بعده واحد بعد واحد، وموالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله والبراءة من الشيطان الرجيم وحزبه وأشياعه، والبراءة من الاحزاب والحياة على ديني وسنّتي ودين وصيي، وسنّته إلى يوم القيامة والموت على مثل ذلك، وترك شرب الخمر وملاحاة[(١٥٩)] الناس، يا خديجة فهمت ما شرط ربك عليك؟

قالت: نعم وآمنت وصدقت ورضيت وسلمت.

قال علي: وأنا على ذلك.

فقال: يا علي تبايعني على ما شرطت عليك؟ قال: نعم.

قال: فبسط رسول اللهصلى الله عليه وآله كفه ووضع كف عليعليه السلام في كفّه وقال: بايعني يا علي على ما شرطت عليك وأن تمنعني مما تمنع منه نفسك.

فبكى عليعليه السلام وقال: بأبي وأمي لا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: اهتديت وربّ الكعبة ورشدت ووفقت، أرشدك الله يا خديجة ضعي يدك فوق يد علي فبايعي له.

فبايعت على مثل ما بايع عليه علي بن أبي طالبعليه السلام على أنه لا جهاد عليها.

قالت: صدقت يا رسول الله قد بايعته على ما قلت، أشهد الله وأشهدك وكفى بالله شهيدا عليما.
[(١٦٠)]

وبهذا الترتيب وقفت خديجةعليها السلام في صف عليعليه السلام وبالتعاون معه اعترفا بدرجات كمال الإيمان، وشهدا وجددا بيعتهما بثبات وقوة.

حفظ الإسلام على مدى ثلاث سنوات سراً

كانت الظروف والشرائط المحيطة بمكّة وأطرافها تسبب خطر الموت للذي يظهر الاسلام، لذلك أخفى الرسولصلى الله عليه وآله وعليّعليه السلام و خديجةعليها السلام والبعض الآخر إسلامهم، واتّقوا في ظروف صعبة، حتّى نزلت الآية (٩٤) و (٩٥) من سورة الحجر على الرسولصلى الله عليه وآله لنشر الاسلام وإفشائه.

ونقل عن الامام الصادقعليه السلام: أن الرسولصلى الله عليه وآله كان يعيش في مكّة لمدّة خمس سنوات بصورة مخفية،

وكان عليّعليه السلام وخديجةعليها السلام معه، وقد أخفوا إسلامهم وأتّقوا بشدّة.[١٦١]

هذه الرواية أيضا تبيّن مدى إيثار السيّدة خديجةعليها السلام ومقاومتها القويّة والثابته والمحكمة، السيدة التي تخلّت عن جميع شئون الدنيا للاسلام وكانت حاضرة للعيش بصورة خفيّة في أصعب الظروف لمدّة ثلاث سنوات أو خمس سنوات وتحمّلت الآلام ومرارة الوحدة والاحساس بالخطر الشديد، حقاً أيّة مقاومة وإيثار أعلى من مقاومتها وإيثارها.

إيثار خديجةعليها السلام ومقاومتها بصلابة في حمايتها للرسولصلى الله عليه وآله وسلم

قال المحققون المسلمون بشأن خديجةعليها السلام: وكانت خديجة وزيرة صدقٍ على الإسلام، وكان رسول الله يسكن إليها.[١٦٢]

وحتى نلمس مدى إيثار خديجةعليها السلام المخلص والسخي وقمّته وقمّة مقاومتها وهمّتها وتحمّلها، وثباتها وبحثها توجّهوا للحادثة العجيبة الآتية:

لما أنزل الله تعالى: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»[١٦٣]، قام رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم على الصفا ونادى في أيام الموسم: يا أيها الناس إني رسول الله رب العالمين.

فرمقه الناس بأبصارهم، قالها ثلاثا، ثم انطلق حتى أتى المروة ثم وضع يده في أذنه ثم نادى ثلاثا بأعلى صوته: يا أيها الناس إني رسول الله، ثلاثا، فرمقه الناس بأبصارهم، ورماه أبو جهل قبحّه الله بحجر فشج بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له: المتكأ وجاء المشركون في طلبه، وجاء رجل إلى علي بن أبي طالبعليه السلام و قال: يا علي قد قتل محمد.

فانطلق إلى منزل خديجة -عليها السلام- فدقّ الباب فقالت خديجة: من هذا؟

قال: أنا علي.

قالت: يا علي ما فعل محمد؟

قال: لا أدري إلا أن المشركين قد رموه بالحجارة، وما أدري أحي هو أم ميّت، فأعطيني شيئا فيه ماء وخذي معك شيئا من هيس[١٦٤] وانطلقي بنا نلتمس رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فإنا نجده جائعا عطشانا.

فمضى حتى جاز الجبل وخديجة معه فقال علي: يا خديجة استبطني[١٦٥] الوادي حتى أستظهره، فجعل ينادي: يا محمداه، يا رسول الله، نفسي لك الفداء في أي وادٍ أنت ملقى؟

وجعلت خديجة تنادي: من أحس لي النبي المصطفى؟ من أحس لي الربيع المرتضى؟ من أحس لي المطرود في الله؟ من أحس لي أبا القاسم؟

وهبط عليه جبرئيلعليه السلام فلما نظر إليه النبيصلى الله عليه وآله وسلم بكى وقال: ماترى ما صنع بي قومي؟ كذّبوني

وطردوني وخرجوا علي.

فقـال: يـا محمد، ناولني يدك، فأخذ يده فأقعده على الجبل، ثم أخـرج من تحت جناحه درنوكا[١٦٦] من درانيك الجنة منسوجا بالدر والياقوت وبسطه حتى جبل به جبال تهامة، ثم أخذ بيد رسول الله ﷺ حتى أقعده عليه، ثم قال له جبرئيل: يا محمد أتريد أن تعلم كرامتك على الله؟

قال: نعم.

قال: فادع إليك تلك الشجرة تجبك.

فدعاهـا فأقبلـت حتـى خرّت بين يديه سـاجدة، فقال: يا محمـد مرها ترجع، فأمرهـا فرجعت إلى مكانها، وهبط عليه إسـماعيل حارس السـماء الدنيا فقال: السلام عليك يا رسول الله، قد أمرني ربي أن أطيعك، أفتأمرني أن أنثر عليهم النجوم فأحرقهم.

وأقبل ملك الشـمس فقال: السـلام عليك يا رسـول الله، أتأمرني أن آخذ عليهم الشـمس فأجمعها على رؤوسهم فتحرقهم.

وأقبـل ملـك الارض فقال: السـلام عليك يا رسـول الله: إن الله عـزّ وجلّ قد أمـرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الارض فتجعلهم في بطنها كما هم على ظهرها؟

وأقبل ملك الجبال فقال: السـلام عليك يا رسـول الله إن الله قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الجبال فتنقلب عليهم فتحطمهم؟

وأقبل ملك البحار فقال: السـلام عليك يا رسـول الله، قد أمرني ربى أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر البحار فتغرقهم؟

فقال رسول الله ﷺ: قد أمرتم بطاعتي؟

قالوا: نعم، فرفع رأسه إلى السماء ونادى: إني لم أبعث عذابا، إنما بعثت رحمة للعالمين، دعوني وقومي فإنهم لا يعلمون.

ونظـر جبرئيـل عليه السلام إلى خديجة تجـول في الوادي فقال: يا رسـول الله ألا تـرى إلى خديجة، قد أبكت لبكائها ملائكة السـماء؟ ادعها إليك فأقرئها مني السـلام، وقل لها: إن الله يقرئك السّـلام، وبشّرها أن لها في الجنة بيتا من قصب لانصب فيه ولا صخب، لؤلؤا مكللا بالذهب [١٦٧].

فدعاها النبي ﷺ والدماء تسيل من وجهه على الارض، وهو يمسحها ويردها قالت فداك أبي وأمي دع الدمع يقع على الارض.

قال: أخشى أن يغضب رب الارض على من عليها.

فلما جن عليهم الليل انصرفت خديجة رضي الله عنها ورسـول الله ﷺ وعلي عليه السلام ودخلت به منزلها،

فأقعدته على الموضع الذي فيه الصخرة، وأظلته بصخرة من فوق رأسه، وقامت في وجهه تستره ببردها، وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقته الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحيط، وإذا رمي من بين يديه وقته خديجة – رضي الله عنها – بنفسها، وجعلت تنادي: يامعشر قريش ترمى الحرّة في منزلها؟

فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه، وأصبح رسول اللهﷺ وغدا إلى المسجد يصلي.[١٦٨]

خديجةؑ إحدى مربّيات عليؑ

قبل البعثة بسنوات، أصابت قريشا أزمة مهلكة وسنة مجدبة منهكة، وكان أبوطالب ذا مال يسير وعيال كثير، فأصابه ما أصاب قريشا من العدم والاضافة والجهد والفاقة، فعند ذلك دعا رسول الله) ص) عمه العباس فقال له: يا أبا الفضل إن أخاك كثير العيال مختل الحال، ضعيف النهضة والعزيمة، وقد نزل به ما نزل من هذه الأزمة، وذو الأرحام أحق بالرفد وأولى من حمل الكَل[١٦٩] في ساعة الجهد، فانطلق بنا إليه لنعينه على ما هو عليه، فلنحمل بعض أثقاله، ونخفف عنه من عياله، يأخذ كل واحد منا واحدا من بنيه ليسهل بذلك عليه بعض ما هو فيه.

فقال العباس: نعم ما رأيت والصواب فيما أتيت، هذا والله الفضل الكريم و الوصل الرحيم.

فلقيا أبا طالب فصبّراه ولفضل آبائهما ذكّراه، وقالا له: إنا نريد أن نحمل عنك بعض الحال، فادفع إلينا من أولادك من تخفف عنك به الاثقال.

فقال أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا وطالبا فافعلا ما شئتما.

فأخذ العباس جعفرا وأخذ رسول اللهﷺ عليّاً، فانتجب لنفسه واصطفاه لمهم أمره، وعوّل عليه في سرّه وجهره وهو مسارع لموصوفاته، موفق للسداد في جميع حالاته.

وقد روي من طريق آخر أن العبّاس بن عبد المطلب أخذ جعفرا وأخذ حمزة طالبا وأخذ رسول اللهﷺ عليّا.

وجاء في رواية أخرى أن حمزة أخذ جعفرا و العبّاس أخذ طالباً.[١٧٠]

أخذ الرسولﷺ عليّاً وعمره ستة سنوات، ومنذ ذلك الوقت وحتى طلوع الاسلام كان الرسولﷺ وخديجةؑ يتولّيان أمر عليّؑ وتربيته.[١٧١]

جاء في كتاب المناقب:

وأخذ رسول اللهﷺ عليّاً وهو ابن ستّ سنين كسنّه يوم أخذه أبو طالبٍ فربّته خديجةؑ والمصطفىﷺ الى أن جاء الاسلام وتربيتُها أحسن من تربية أبي طالبٍ وفاطمة بنت أسدٍ.[١٧٢]

وهذا افتخار من إفتخارات السـيدة خديجةعليها السلام بأنها سُـجّلت في سجلّ الخلقة بعنوان مربّية عليّعليه السلام والوالدة الثانية له.

المثلث المبارك لوجود الرسولصلى الله عليه وآله وخديجةعليها السلام وعليّعليه السلام، أركان الاسلام الثلاثة

من المعروف قديماً أن الاسلام انتشر في البداية بسبب أخلاق الرسولصلى الله عليه وآله الحسنة وسيف ومجاهدات عـليّعليه السلام وأمـوال وإيثار خديجةعليها السلام، وحقّاً كان كذلك، وبالتحليل والتحقيق في تاريخ الاسـلام يتّضح هذا الموضوع جيّداً.

يقـول العـالم والكاتـب المعـروف «سـليمان الكتّـاني»: ما قام الاسـلام إلا بسـيف عـليّعليه السلام وثروة خديجةعليها السلام.

ويبـيّن ذلك بالتالي: وهبت خديجةعليها السلام محبّتها لرسـول اللهصلى الله عليه وآله، لم تكن تحس بأنها تهبه بل كانت تحس بأنه يأخذ منها المحبّة وتكسب منه كل السعادة، وهبته كل ثروتها ولكن لم تكن تحس بأنها تهبه بل كانت تحـس أنها تكسـب هدايته والتـي هي أفضل من جميع كنوز العالم، فمنحها الرسـول صلى الله عليه وآله المحبّـة وولّاهـا التقدير وهذا هو الأمر الذي ارتفعت بـه الى أعلى الدرجات ولم يكن يحس بأنه أعطاها بل كان يقول: ما قام الاسلام إلا بسيف عليٍّ وثروة خديجة.[(١٧٣)]

وفي هذا المجال نلفت نظركم الى حادثتين لطيفتين، وهما:

١ – عن عليّعليه السلام أنه قال: دعاني رسول اللهصلى الله عليه وآله وهو بمنزل خديجةعليها السلام ذات ليلة، فلما صرت إليه قال: اتبعني يا علي فما زال يمشي وأنا خلفه ونحن نخرق دروب مكة حتى أتينا الكعبة وقد أنام الله كل عين، فقال لي رسول الله صلى الله عليه واله: يا علي.

قلت : لبيك يا رسول الله.

قال: اصعد على كتفي يا علي.

قـال: ثـم انحنى النبيصلى الله عليه وآله فصعدت على كتفـه فألقيت الاصنام على رؤوسـهم وخرجنا من الكعبة التـي شرفها الله تعالى حتى أتينا منـزل خديجة، فقال لي: إنّ أول من كسر الاصنام جدّك إبراهيمعليه السلام ثم أنت يا علي آخر من كسر الاصنام.

فلما أصبحوا أهل مكة وجدوا الاصنام منكوسة مكبوبة على رؤوسها فقالوا: ما فعل هذا إلا محمّد وابن عمه، ثم لم يقم بعدها في الكعبة صنم.[(١٧٤)]

٢– قالت خديجةعليها السلام في السـنوات الأولى من البعثة: خرج النبيصلى الله عليه وآله من الغار فأتى إلى منزل خديجة كئيبا حزينا، فقالت خديجة:

يا رسول الله ما الذي أرى بك من الكآبة والحزن ما لم أره فيك منذ صحبتي؟

قال: يحزنني غيبوبة علي.

قالت: يا رسول الله فرقت المسلمين في الآفاق وإنما بقي ثمان رجال، كان معك الليلة سبعة فتحزن لغيبوبة رجل؟

فغضب النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا خديجة إن الله أعطاني في علي ثلاثة لدنياي وثلاثة لآخرتي، وأما الثلاثة لدنياي فما أخاف عليه أن يموت ولا يقتل حتى يعطيني الله موعده إياي ولكن أخاف عليه واحدة.

قالت: يا رسول الله إن أنت أخبرتني ما الثلاثة لدنياك وما الثلاثة لآخرتك وما الواحدة التي تتخوف عليه لاحتوين على بعيري ولاطلبنه حيثما كان إلا أن يحول بيني وبينه الموت.

قال: يا خديجة إن الله أعطاني في علي لدنياي أنه يواري عورتي عند موتي، وأعطاني في علي لدنياي أنه يقتل أربعة وثلاثين مبارزا قبل أن يموت أو يقتل، وأعطاني في علي أنه متكاي بين يدي يوم الشفاعة وأعطاني في علي لآخرتي أنه صاحب مفاتيحي يوم أفتح أبواب الجنة، وأعطاني في علي لآخرتي أني اعطى يوم القيامة أربعة ألوية فلواء الحمد بيدي وأرفع لواء التهليل لعلي وأوجهه في أول فوج وهم الذين يحاسبون حسابا يسيرا و يدخلون الجنة بغير حساب عليهم، وأرفع لواء التكبير إلى يد حمزة وأوجهه في الفوج الثاني، وأرفع لواء التسبيح إلى جعفر وأوجهه في الفوج الثالث، ثم أقيم على أمتي حتى أشفع لهم، ثم أكون أنا القائد وإبراهيم السائق حتى أدخل أمتي الجنة، ولكن أخاف عليه إضرار جهلة.

فاحتوت على بعيرها وقد اختلط الظلام، فخرجت فطلبته فإذا هي بشخص فسلمت ليرد السلام لتعلم علي هو أم لا، فقال: وعليك السلام، أخديجة؟

قالت: نعم وأناخت، ثم قالت: بأبي وأمي اركب.

قال: أنت أحق بالركوب مني، اذهبي إلى النبي صلى الله عليه وآله فبشري حتى آتيكم.

فأناخت على الباب ورسول الله صلى الله عليه وآله مستلق على قفاه يمسح فيما بين نحره إلى سرته بيمينه وهو يقول: اللهم فرّج همّي وبرّد كبدي بخليلي علي بن أبي طالب - حتى قالها ثلاثا.

قالت له خديجة: قد استجاب الله دعوتك.

فاستقل قائما رافعا يديه ويقول: شكرا للمجيب - قاله إحدى عشرة مرة.[١٧٥]

نعم، كان هذا نموذج لتضحيات خديجةعليها السلام الشجاعة حيث كانت كالصديق المخلص والقادر ذو الإيثار الكامل لرسول الله صلى الله عليه وآله والحامي له، وكانت السبب لتسكين وإسعاد قلب رسول الله صلى الله عليه وآله.

نموذج آخر لحماية خديجةعليها السلام الشجاعة

ينقل الشيخ المفيد عن اصبغ بن نباته أنه قال:كنا مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام يوم الجمعة في المسجد بعد العصر إذ أقبل رجل طوال كأنه بدوي، فسلّم عليه، فقال له عليّعليه السلام: ما فعل جنّيك الذي كان يأتيك؟

قال: إنه ليأتيني إلى أن وقفت بين يديك يا أمير المؤمنين.

قال عليّعليه السلام: فحدث القوم بما كان منه.

فجلس وسمعنا له، فقال: إني لراقد باليمن قبل أن يبعث الله نبيهصلى الله عليه وآله فاذا جني أتاني نصف الليل فرفسني برجله وقال: اجلس.

فجلست ذعرا، فقال: اسمع.

قلت: وما أسمع؟

قال:

عجبت للجن وإبلاسها
وركبها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى
ما طاهر الجن كأنجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم وارم بعينيك إلى رأسها.

قال: فقلت: والله لقد حدث في ولد هاشم شئ أو يحدث، وما أفصح لي وإني لارجو أن يفصح لي، فأرقت ليلتي وأصبحت كئيبا، فلما كان من القابلة أتاني نصف الليل وأنا راقد فرفسني برجله وقال: اجلس، فجلست ذعرا.

فقال: اسمع، فقلت: وما أسمع؟

قال:

عجبت للجن وأخبارها
وركبها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى
ما مؤمنو الجن ككفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها.

فقلت: والله لقد حدث في ولد هاشم أو يحدث، وما أفصح لي وإني لارجو أن يفصح لي، فأرقت

ليلتي وأصبحت كئيبا، فلما كان من القابلة أتاني نصف الليل وأنا راقد فرفسني برجله، وقال: أجلس، فجلست وأنا ذعرا.

فقال: اسمع، قلت: وما أسمع؟

قال:

عــجــبـــــت لــلــجــــــــــن وألــبـــــــانهــا
وركـــبــــــــــهــا الــعــيـــــس بــأنــيــــــابهـــا
تهــــــــوي إلى مــكـــــــة تــبــغـــــي الهــــــدى
مــــــا صــــادقـــــــــو الجــــــــن كــكــذابهــــا

فارحل إلى الصفوة من هاشم   أحمد أزهر خير أربابها.

قلت: عدو الله أفصحت، فأين هو؟

قال: ظهر بمكة يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

فأصبحت ورحلت ناقتي ووجهتها قبل مكة، فأول ما دخلتها لقيت أبا سفيان وكان شيخا ضالا، فسلّمت عليه وساءلته عن الحق، فقال: والله إنهم مخصبون، إلا أن يتيم أبي طالب قد أفسد علينا ديننا.

قلت: وما اسمه؟

قال: محمد، أحمد.

قلت: وأين هو؟

قال: تزوج بخديجة بنت خويلد فهو عليها نازل.

فأخذت بخطام ناقتي ثم انتهيت إلى بابها فعقلت ناقتي، ثم ضربت الباب فأجابتني: من هذا؟

فقلت: أنا أردت محمدا.

فقالت: اذهب إلى عملك، ما تذرون محمدا يأويه ظل بيت، قد طردتموه وهربتموه وحصنتموه، اذهب إلى عملك.

قلت: رحمك الله إني رجل أقبلت من اليمن، وعسى الله أن يكون قد من علي به، فلا تحرميني النظر إليه.

وكان ﷺ رحيما، فسمعته يقول: يا خديجة افتحي الباب.

ففتحت فدخلت فرأيت النور في وجهه ساطعا، نور في نور، ثم درت خلفه فإذا أنا بخاتم النبوة معجون على كتفه الايمن، فقبلته ثم قمت بين يديه وأنشأت أقول:

أتـــاني نـجـــي بـعـــد هـــدء ورقـــدة
ولم يــك فــيـما قـــد تـلـــوت بـكـــاذب
ثـــلاث لـــيـــال قـــولــــه كـــل لـيـلـة
أتـــاك رســـول مـــن لـــوي بـــن غـالـب
فـشـمـرت عـــن ذيـــلي الازار ووسـطـت
بي الـــذعـلـــب[١٧٦] الـوجـنـاء بـيـن السباسب
فـمـــرنـا بـــما يـأتـيـــك يـــا خـــير قـــادر
وإن كـــان فــيـما جـــاء شـيـب الــذوائـب
وأشـــهـــد أن الله لا شـــيء غـــيره
وأنـــك مـــأمـــون عـلـــى كـــل غـــائـب
وأنـــك أدنـــى المـرســـلـين وسـيـلـة
إلى الله يـــا ابـــن الاكـــرمـــين الاطـائـــب
وكـــن لي شـفـيـعـا يـــوم لا ذو شـفـاعـة
إلى الله يـغـــني عـــن ســـواد بـــن قـــارب

وكان اسم الرجل سواد بن قارب، فرحت والله مؤمنا بهصلى الله عليه وآله، ثم خرج إلى صفين فاستشهد مع أمير المؤمنينعليه السلام.[١٧٧]

طعام خديجةعليها السلام المبارك

مضت ثلاث سنوات على البعثة، فنزلت الآية (٢١٤) من سورة الشعراء:

﴿وأنذر عشيرتكَ الأقربين﴾.

فأمر النبيصلى الله عليه وآله عليّاً أن يصنع صاعاً من الطعام وجعل عليه رجل شاة وملأ عسّاً من لبن ثم دعاهم وهم يومئذٍ أربعين رجلاً من أقربائه من بني عبد المطّلب، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب فأكلوا وشربوا حتّى رووا منه جميعاً فلما أراد رسول اللهصلى الله عليه وآله أن يكلّمهم بدره أبو لهب فقال: لقد سحركم صاحبكم.

فتفرّق القوم ولم يكلّمهم الرسولصلى الله عليه وآله.

فأمرصلى الله عليه وآله عليّاً في اليوم الثاني أن يفعل كما فعل آنفاً وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم

بخـير الدنيـا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم.

فخيّم السـكوت على المجلس وأحجم القوم عنه جميعاً، فقام علي وقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فمدّ يده ليبايع الرسول بذلك.

فقال النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا علي، اجلس.

فكرّر الرسـول صلى الله عليه وآله السـؤال للمرة الثانية، فقام عليّ عليه السلام أيضا وكرّر كلامه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا علي، اجلس.

أيضـا في المرة الثالثة لم يقم إلا عليّ عليه السلام، فـضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده على عليّ عليه السلام، وطبقاً لبعض الروايات أن الرسول صلى الله عليه وآله أخذ برقبة[١٧٨] عليّ عليه السلام وقال عنه في ذلك المجلس الاستثنائي لبني هاشم: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوه.[١٧٩]

وفي سيرة الحلبي، جاءت هذه الجملة اضافةً على ذلك، أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: ووزيري ووارثي.

يجب التوجه الى أن: خديجة عليها السلام هي التي أعدت الطعام لتلك الضيافة، وبناءاً على أمر الرسـول صلى الله عليه وآله جـاء عـليّ عليه السلام الى خديجة عليها السلام وأمرها بأن تتخذ لـه طعاماً ففعلت فقام عليّ عليه السلام وأتى الرسـول صلى الله عليه وآله بثريدة وطعـام يأكلـه الثلاثـة والاربعـة، فقدّمه إليهم، وقال: كلوا وسـمّوا، فسـمّى ولم يسـمّ القـوم، فأكلوا وصدروا شبعى، فقال أبو جهل:

جـاء مـا سـحركم محمد، يطعـم من طعـام ثلاثة رجـال أربعين رجلاً، هـذا والله السـحر الذي لا بعده.[١٨٠]

دور ثروة خديجة عليها السلام في تقدّم وانتشار الاسلام

ذكرنا من قبل أن خديجة عليها السلام كانت قبل زواجها بالرسـول صلى الله عليه وآله من أغنى أثرياء الجزيرة العربية وأنها تملـك ثمانـين ألفاً من الجمل، وكانـت قوافلها التجارية تتحرك ليلاً ونهاراً الى الطائف، اليمن، الشـام، مصر وسائر البلاد، ولها الكثير من العبيد حيث كانوا يعملون لها بالتجارة.

مـن إحـدى تضحياتها العجيبـة والايثار أنها بعـد الزواج بالرسـول صلى الله عليه وآله وضعت جميـع أموالها قبل الاسلام وبعد الاسلام تحت تصرّف الرسول صلى الله عليه وآله، ليصرفها في سبيل الله والاسلام.

وكان الرسول صلى الله عليه وآله فقيراً وبيّن الله له نعمه عليه فقال: «ووجدك عائلاً فأغنى».[١٨١]

ويقصد بذلك طبقاً للروايات أنه أغناك بثروة خديجة عليها السلام.[١٨٢]

وفي هذا المجال ولتوضيح المطلب توجهوا للروايات الآتية:

مجالات صرف أموال خديجةعليها السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما نفعني مال قط ما نفعني مال خديجة.[١٨٣]

وهنا يطرح هذا السؤال بأن الرسول صلى الله عليه وآله كيف صرف أموال خديجةعليها السلام وفي أي المجالات تم صرفها؟

سيتّضح جواب هذا السؤال بالتوجه الى الامور التالية:

١- كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفك في مالها الغارم والعاني ويحمل الكل، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة.[١٨٤]

وباختصار، كان الرسول صلى الله عليه وآله يصرف الاموال في المجال الذي يرى فيه الصلاح.

٢- عندما تزوج الرسول صلى الله عليه وآله من خديجةعليها السلام (خمسة عشرة سنة قبل البعثة) قدمت حليمة السعدية على رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة وشكت إليه جدب البلاد وهلاك الماشية فكلّم رسول الله عليه وآله خديجةعليها السلام، فأعطتها أربعين شاة وبعيراً وانصرفت إلى أهلها، ثم قدمت عليه صلى الله عليه وآله بعد الاسلام فأسلمت هي وزوجها.[١٨٥]

فكان ذلك من إحدى الطرق التي صرف فيها الرسول صلى الله عليه وآله أموال خديجةعليها السلام.

٣- ذكرنا من قبل أنه في موضوع زواج الرسول صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام، قالت خديجةعليها السلام لورقة بن نوفل (ابن عمّها) عندما تحدّث عن فقر محمّدصلى الله عليه وآله: إذا كان ماله قليلاً فمالي كثيرٌ.

وأنشدت بأبيات منها:

فما المالُ إلا مثل قلم الاظفار.[١٨٦]

أي أنها فصلت ثروتها عن نفسها وجعلتها تحت تصرف الرسول صلى الله عليه وآله.

٤- جاء في متن الرواية الخاصة بحصار شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات أو أربع سنوات:

وأنفق أبو طالب وخديجة جميع مالها.[١٨٧]

حديث قصير:

بناءاً على بعض الروايات التي جاءت في الحصار، أنه لم يبق شيئاً من أموال خديجةعليها السلام في هذه المحاصرة وأنها قالت: لم يبق إلا جلدين، نتخذ أحدهما كفراش والآخر كغطاء.

لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وآله: ما قام الاسلام إلا بسيف عليٍّ وثروة خديجة.[١٨٨]

نعم، لقد صُرفت أغلب ثروة خديجةعليها السلام في هذه المحاصرة الثلاثة سنوات أو الاربعة سنوات، لأن المشركين حاصروا بني هاشم والرسول صلى الله عليه وآله في شعب أبيطالب محاصرة شديدة، في هذه المدّة كان أبو

العـاص بـن ربيع زوج ابنة خديجةعليها السلام يـأتي بالعير بالليل وعليها البر والتمـر ويتحمل المخاطر الكثيرة لايصالها الى بني هاشـم ولم يكن لدى المحاصـرين طعام وكانت خديجـة عليها السـلام تصرف عليهم من أموالها طوال هذه الفترة (٣ أو ٤ سنوات).[١٨٩]

كانـت خديجةعليها السلام تحافظ على حياة النبي وبني هاشـم والمدافعين عن النبـيصلى الله عليه وآله بكل ايثار ومقاومة، وكانت تصرف كل ما تملك في هذا السبيل.

نعـم، مثـل هـذا الايثـار كان السـبب لمسـاواة انفـاق ثـروة خديجةعليها السلام بسـيف علـيّعليه السلام في انتشـار دعوة الإسـلام، ذلك السـيف الذي عرّفه الرسـولصلى الله عليه وآله بأن «ضربـة عليٍّ يوم الخنـدق أفضل من عبادة الثّقلين».[١٩٠]

وقد تساوى الجهاد بالمال بالجهاد بالنفس وجاء بجانبه في آيات متعددة في القرآن (كالآية (١١) من سـورة الصّف، والآية (٩٥) من سـورة النسـاء، والآية (٤٤) و (٨١) و (٨٨) من سورة التوبة والآية (٧٢) من سورة الأنفال و.... وغيرها).

وعلى هذا الأساس كتب العلامة المامقاني صاحب رجال تنقيح المقال: وكفاها شرفاً فوق شرفٍ أنّ الاسلام لم يقم إلا بمالها وسيف عليّ بن أبي طالبٍ كما روي متواتراً.[١٩١]

٥- وبصورة عامة وبعد التحقيق في الروايات نستطيع أن نقول أن الرسولصلى الله عليه وآله أنفق ثروة خديجةعليها السلام في تلك الموارد الثمانية التي جاءت في الآية (٦٠) من سورة التوبة الخاصة بانفاق الزكاة على المستحقين والذين هم «الفقراء والمساكين والعاملين على جمع الزكاة وجذب محبّة المخالفين وفي الرّقاب وأداء دين الغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل».

جـاء من بين هـذه الموارد الثمانية جذب محبّة وقلوب الكافرين والـذي عُبر «بالمؤلّفة قلوبهم» فكان الرسولصلى الله عليه وآله يعطي من أموال خديجةعليها السلام للمشركين والكافرين حتى يجذبهم ويرغبّهم بالاسلام ويقوّي من بناء الاسلام. كما أن زواجه لبعض من الزوجات كان لذلك السبب.

٦- يجب التوجه الى أن: هذا الموضوع أيضا طبيعي بأنه بعد اسلام خديجةعليها السلام حاول أعداء الاسلام بمنع استمرار تجارة خديجةعليها السلام، وليس فقط لم يتعاونوا معها بل قاموا بسرقة أموالها، على الرغم من أن الكاتب لم يجد أية رواية في التاريخ تدل على ذلك إلا أن ذلك طبيعي ومن الحوادث التي تحصل في مثل تلك الظروف.

ولكـن عـلى أية حـال لم تكن خديجـةعليها السلام تحس بأنها وهبت الرسـولصلى الله عليه وآله بتلـك الثـروة الطائلة التى صرفها الرسـولصلى الله عليه وآله في طرق صحيحة وسـليمة، بل كانت تحس أنها عوّضت ثروتها بهداية الرسولصلى الله عليه وآله لها وللناس والتي هي أفضل من الملايين من كنوز هذا العالم.

السيدة خديجةعليها السلام في محاصرة اقتصادية شديدة لثلاث سنوات

من إحدى الحوادث المؤلمة التي حصلت في السنة السادسة (أو السابعة) وحتى العاشرة من البعثة، أي في حدود ثلاث سنوات أو على قولٍ آخر أربع سنوات، هي المحاصرة الاقتصادية الشديدة على الرسولصلى الله عليه وآله والمدافعين عنه (والذين كانوا أربعين نفر) في شعب أبي طالب، كانوا في حصار طوال السنة فيما عدا في الأشهر الأربعة الحرم، وكانوا يتحمّلون حرارة الصيف في تلك الصحراء القاحلة بلا ماء وعشب وبدون أية وسائل، والجوع الشديد والعطش الغير قابل للتحمل، وكانت خديجةعليها السلام والتي كان عمرها بين ٦٣ و حتى ٦٥ سنة، تقضي معهم في هذا الحصار، وقد صرفت أغلب أموالها في هذه السنوات الثلاثة أو الاربعة، وعندما تحرّرت من الحصار توفّت بعدها بشهرين بسبب الآلام والتعذيب الشديد التي واجهتها في الحصار، وفي الحقيقة استشهدت، ولتوضيح المطلب نلفت نظركم الى حديث الحصار:

لم تنجح خطط المشركين في منع انتشار الاسلام، وكانوا يشهدون يوميا تقدّم الاسلام السريع والعجيب، فقاموا بتشكيل مجلس للقضاء على الاسلام واجتمعت قريش في دار الندوة وبعد النقاش الكثير، اتفقوا على أن يحاصروا محمدصلى الله عليه وآله وأصحابه محاصرة اقتصادية صعبة وشديدة.

وكانت أغلب منازل بني هاشم تقع في الشعب (وادي قرب جبل أبو قبيس) والتي كانت تسمى بشعب بني هاشم وشعب أبي طالب.[١٩٢]

وفي ذلك الاجتماع كتبوا صحيفة بينهم أن لا يؤاكلوا بني هاشم ولا يبايعوهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجوا إليهم ولا يحضروا معهم.

وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه، وعلّقوها بالكعبة وقالوا لأبي طالب: لا صلح بيننا وبينكم، ولا رحم إلا على قتل هذا الصابئ.[١٩٣]

نقرأ في صفحات أخرى من التاريخ والروايات الخاصة بشدة الآلام وتعذيب الحصار أنه: بدأت المحاصرة في هلال محرم سنة سبعة من النبوة، ودامت لمدة ثلاث سنوات أو أربع سنوات، وقد مضت هذه السنوات بصعوبة وشدة على بني هاشم ونسائهم وأطفالهم حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر، وكان البعض يأتون بالطعام إليهم بصورة خافية و...

ومن إحدى الأمور المهمة التي حدثت في هذه المحاصرة أن أبا طالب والد عليّعليه السلام كان يخاف من أن يغتالوا رسول اللهصلى الله عليه وآله فكان يحرسه ليلا ونهارا، واذا نام الناس أمر أحد بنيه غالباً عليّعليه السلام أن يضطجع على فراش المصطفىصلى الله عليه وآله ويوكّل عليه ولده وولد أخيه ويأمر هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها، حتّى لا يؤذونه المشركين بمكرهم أو يرمونه بالحجر من أعلى جبل أبو قبيس ويقتلونه.

كان عليّ‹ يرقد بفراش المصطفى‹ بكل شهامة وإخلاص ويفدي بروحه للرسول‹.[١٩٤]

يقول ابن أبي الحديد في هذا الموضوع: كان أبو طالب غالباً يخشى من غارة الأعداء على الرسول‹ وإيذائه، فكان يقوم ليلاً ويرقد ابنه عليّاً في فراش الرسول‹.[١٩٥]

إن المحاصرة في شعب أبي طالب لأكثر من ثلاث سنوات وفي صحراء حارقة وبلا أية وسيلة صعبة جداً ومجهدة، ولادراك هذا المطلب توجهوا الى الرواية الآتية:

يقول سعد بن وقّاص: في إحدى الليالي خرجت من الشعب وقد خارت قواي من شدة الجوع، فوجدت جلد بعير، فإخذته وغسّلته وأحرقته وطحنته وعجنته بالماء وأكلته وبقيت عليه لثلاثة أيام.[١٩٦]

نعم، لقد تحمّل أبو طالب وخديجة‹ وعليّ‹ هذه المحاصرة وهذه الضغوط في سبيل حماية الرسول‹ ولم يكفّوا عن ذلك، هل هناك وراء ذلك غير «الايمان والاخلاص»؟

في مثل هذه الظروف كانت حياة عليّ‹ في خطر أكثر من حياة الرسول‹ وخديجة‹، لأنه كان يرقد في فراش الرسول‹ لحفظه من الخطر، وكان من المحتمل أنه في أية لحظة يرمي عليه المشركون صخرة كبيرة من أعلى جبل أبو قبيس ويُقتل، أو يقوم المشركون بالغارة على فراشه، لذلك قال عليّ‹ في إحدى الليالي لأبيه:

إنّي مقتولٌ.[١٩٧]

وبقوا في هذه المحاصرة حتّى بلغ القوم الجهد الشديد حتّى كانت أصوات صبيانهم تعلى وتصل الى الكعبة وهم يصيحون من الجوع من وراء الشعب.

نعم، كانت خديجة‹ تعيش في مثل هذه الظروف لمدة ثلاث سنوات والتي كانت سيدة عمرها عدّى الستين سنة.

نعم، لقد وصلت صعوبات المحاصرة لدرجة أنّ الرسول‹ وأبو طالب وخديجة‹ صرفوا كل مدخّراتهم المالية والتي كانت من أموال خديجة‹ وأبو طالب، وإذا لم يصل اليهم الطعام بصورة خفية كانوا يأكلون من ورق الشجر من شدّة الجوع.

وكانت الطرق المؤدّية الى الشعب في مراقبة شديدة من قبل قريش، وكان هذا الوضع المؤلم قائم طوال السنة فيما عدا الأشهر الحرم (ذي القعدة، ذي الحجة، محرّم، ورجب)، فكان أبو طالب والرسول‹ وأصحابه يستغلّون هذه الحرّيّة ويبدأون بنشر دعوة الاسلام والتبليغ عنها في موسمي الحج والعمرة.

وكان لأبو طالب الوالد العظيم لعليّ‹ الدور الكبير والأساسي في حفظ حياة الرسول‹ وصد

جبهة قريش عنه.

وكانت قمّة حفظه وحمايته للرسـول صلى الله عليه وآله أنه حرّم على نفسـه النوم في الشـعب حتى يحرس النبي صلى الله عليه وآله ليلاً ونهاراً من دسيسة الأعداء.

تقول بنت الشاطئ العالمة المعروفة:

لم تكـن خديجةعليها السلام في السـن الذي يسـمح بأن تتحمّـل الصعوبات والآلام والعذاب بسـهولة، ولم تكن من الأشخاص الذين قضوا حياتهم في ضيق المعيشة والحرمان والمرار، ولكن بالرغم من كهولتها تحمّلت صعوبات المحاصرة في شعب أبي طالب من قبل قريش والتي وصلت الى حدّ الموت.[١٩٨]

معجزة تحرير بني هاشم من المحاصرة

وبعد مرور ثلاث سـنوات أو أربع سـنوات على المحاصرة لم يترك الله سـبحانه وتعالى نبيّه لوحده، فأوحـى الله عـزّ وجلّ الى النبي صلى الله عليه وآله أن الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط «باسمك اللهم».

فأخـبر النبـي صلى الله عليه وآله عمّه أبا طالب بذلـك، ففرح أبو طالب بذلك كثيراً وقرّر بـأن يلغي تلك القطيعة بهذا الطريق، فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطّلب حتّى أتوا المسجد والمشركون من قريش في ظل الكعبـة، فلـما أبصروا تبـاشروا به وظنّوا أن الحصر والبـلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسـول الله صلى الله عليه وآله فيقتلوه، فلما انتهى أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وانتظروا ماذا سيقول لهم أبو طالب؟

فقال لهم أبو طالب عن حادثة الصحيفة العجيبة، فاستغربوا من هذا الخبر الغيبي.

كان لهـذه المعجـزة العجيبـة تأثـير عجيب على المشركـين فقالـوا: إذا كان صحيحاً فسـنفك عنكم المحاصرة.

قال أبو طالب: وإن كان باطلاً دفعناه إليكم.

فقامـوا الى الكعبـة وأتوا بها، فوجدوا أن الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة ولم تترك إلا اسـم الله، ليعتبروا بها.

فآمن بعضهم ولكن قال أغلبهم: هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً.

ولكـن بهـذه الطريقة قضى أبو طالب عـلى المحاصرة والقطيعة، وتبدّلـت جبهتهم الى نوع من عدم المبالاة ونتيجةً لذلك تحرر الرسول صلى الله عليه وآله وأبو طالب وخديجةعليها السلام وبني هاشم من الحصار.

وأنشـد أبو طالب أبيـات عن هذه الحادثة العجيبـة والكبيرة[١٩٩]، ولا ننس القـول بأن أطفال بني هاشـم كانـوا في تلك المحاصرة وكانت مـن بينهم فاطمة الزهراء سـلام الله عليها والتـي كان عمرها

يتراوح بين الثلاث سنوات والست سنوات.

كانت المحاصرة شديدة لدرجة أن أطفال بني هاشم كانوا يبكون ويصيحون من شدّة الجوع.

روى أن حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه شخص يحمل طعاماً الى عمّته خديجة بنت خويلد وهي تحت رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب، إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت ولا طعامك حتى أفضحك عند قريش.

فقال له أبو البختري بن هشام بن الحارث : تمنعه أن يرسل إلى عمّته بطعام كان لها عنده؟

فأبى أبوجهل أن يدعه، فقام إليه أبوالبختري بساق بعير فشجّه ووطئه وطئاً شديداً.

واستمرت هذه الصراعات حتى تحرر الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه به من محاصرة الشعب.(٢٠٠)

كان أبو العاص بن الربيع (ابن أخت خديجة عليها السلام وزوج ابنتها زينب) من احد الأشخاص الذين يقومون ويسعون في توصيل الطعام الى المحاصرين، وكان من الكافرين ومن بني أميّة، لذلك لم يكن تحت مراقبة المشركين، وكان هو المسئول عن بعض أموال خديجة عليها السلام، وكان يسعى على قدر استطاعته توصيل الطعام (المشتراة بأموال وثروة خديجة عليها السلام) الى المحاصرين، فكان يأتي بالعير بالليل عليها البر والتمر الى باب الشعب ويصيح بها فتدخل الشعب فيأكله بني هاشم.(٢٠١)

كانت بني هاشم طوال فترة الحصار تعاني من ضيق شديد في المكان وفي البرد والحرّ والماء والطعام وسائر الامكانيات، وفي الحقيقة كانوا يعيشون في سجن وفي عذاب ومع كل هذه الظروف السّيّئة كانوا يقاومون، وبسبب هذا التعذيب توفى أبو طالب وخديجة عليها السلام بعد عدّة أيام أو شهرين من تحريرهم من الحصار، حيث يجب أن نقول أنهما استشهدا.

الفصل الثالث

فضائل، أولاد، وصيّة، وفاة ومقامات السيّدة خديجةعليها السلام

المقام العظيم لخديجة عليها السلام

نبدأ هذا الفصل بأبيات العالم الكبير الشيخ حرّ العاملي (المتوفّي في سنة ١١٠٤ هـ. ق.) صاحب كتاب وسائل الشيعة:

زوجته خديجةٌ وفضلها
أبان عند قولها وفعلها
بنت خويلدٍ الفتى المكرّم
الماجد المؤيّد المعظّم
لها من الجنّة بيتٌ من قصبٍ
لا صخب فيه ولا لها نصبٌ
وهذه صورة لفظ الخبر
عن النّبيّ المصطفى المطهّر(٢٠٢)

جاءت أحاديث كثيرة وبتعابيرٍ متعددة عن المقام العظيم والقدير لأم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام على لسان الرسول صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام عن طريق الروايات الاسلامية التي نقلت عن الشّيعة والسّنة (٢٠٣)، وكما يقول صاحب مستدرك سفينة البحار: إنّ فضائل السيدة خديجة عليها السلام التي جاءت في روايات مختلفة الأبواب، لا تعد ولا تحصى.(٢٠٤)

إن هذه الروايات تبلّغنا بأسرار عظمة مقام هذه السيدة القديرة، وتعرّفنا بمقاماتها،حتّى نقتدي بها كأفضل قدوة في مسيرتنا الى التكامل.

وهنا نلفت نظركم الى نماذج من تلك الروايات:

١ – قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير نسائها خديجةٌ وخير نسائها مريم ابنة عمران.(٢٠٥)

٢- وقال أيضا: خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحمٍ، وخديجة بنت خويلدٍ، وفاطمة بنت محمدٍ.[٢٠٦]

٣- قال ابن عبّاس: خطّ رسول الله أربع خطط في الأرض، وقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

فقال الرسول: خير نساء الجنّة مريم بنت عمرانٍ، وخديجة بنت خويلدٍ وفاطمة بنت محمدٍ، وآسية بنت مزاحمٍ امرأة فرعون.[٢٠٧]

٥- قال رسول الله: أتاني جبرئيل فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك، فإذا هي أتتك فاقرأ من ربّها ومنّي السلام وبشّرها ببيتٍ في الجنّة من قصبٍ لا صخبٌ ولا نصبٌ.[٢٠٩]

جاءت هذه الجملة في بعض الروايات «من قصب الزّمرّد»[٢١٠]، وطبقاً لبعض الروايات قال رسول الله: «أمرت أن أبشّر خديجة ببيتٍ..».[٢١١]

٦- وقال أيضا: «أربع نسوةٍ سيّدات سادات عالمهنّ مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلدٍ، وفاطمة بنت محمدٍ، وأفضلهنّ عالماً فاطمة».[٢١٢]

٧- وقال أيضا: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمرانٍ، وخديجة بنت خويلدٍ، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحمٍ.[٢١٣]

٨- وقال أيضا: إنّ الله اختار من النساء أربعاً، مريم وآسية وخديجة وفاطمة.[٢١٤]

٩- ذات يوم قالت عائشة لفاطمة (س): ألا أبشّرك بما سمعت عن رسول الله أنه قال: سادات نساء العالمين أربع: مريم وفاطمة وخديجة وآسية(ع).[٢١٥]

١٠- ذات يوم قال النبي صليالله عليه وآله لعليّ: يا عليّ، لك أشياء ليس لي مثلها، إن لك زوجة مثل فاطمة وليس لي مثلها، ولك ولدان من صلبك وليس لي مثلهما من صلبي، ولك مثل خديجة أم أهلك وليس لي مثلها حماة.[٢١٦]

١١- قال أمير المؤمنين عليّ: سادات نساء العالمين أربع: خديجة بنت خويلدٍ وفاطمة بنت محمدٍ وآسية بنت مزاحمٍ، ومريم بنت عمران.[٢١٧]

١٢- وروي أن جبرئيل أتى النبي فسأل عن خديجة فلم يجدها، فقال: إذا جاءت فأخبرها أن ربها يقرؤها السلام.[٢١٨]

١٣- بعث الرسول عمار بن ياسر الى خديجة عندما كان في اعتزال عن خديجة لمدّة أربعين يوماً وقال قل لها: إنّ الله عزّ وجلّ ليُباهي بك كرام ملائكته كلّ يومٍ مراراً.[٢١٩]

١٤- ذات يوم عرّف الرسول خيرة الناس عند الله سبحانه وتعالى حتى قال: وخيرته من النساء

فمريم بنت عمران وآسية بنت مزاحمٍ امرأة فرعون، وفاطمة الزهراء سلام الله عليها وخديجة بنت خويلدٍ.[٢٢٠]

يجب التوجه الى أن النساء الصالحات كثيرة في العالم ولكن هذه النّسوة الأربعة (آسية، مريم، خديجة وفاطمة عليهن السلام) هن أكملهن وأفضلهن، وبالبحث في الحياة النورانية والمشرقة لهذه النسوة الأربعة ندرك ونصل لإحدى الاسرار الأساسية لأفضليتهن وذلك السّر هو حمايتهن للقائد، وقد كنّ في غاية السعي والتّضحية والايثار في سبيل قيام القائد الحق (موسى وارتباطه بآسية عليها السلام، عيسى وارتباطه بمريم عليها السلام، الرسول صلى الله عليه وآله وارتباطه بخديجة عليها السلام وفاطمة وارتباطها بقيادة عليّ عليه السلام)، لدرجة أن أربعتهن استشهدن في سبيل المقام العظيم للقادة الحق، والفرق بينهن هو أن آسية عليها السلام وفاطمة عليها السلام استشهدتا علناً، ولكن شهادة مريم وخديجة عليهما السلام تمت بصورة تدريجية وبعد تحمّل المحن الكثيرة، وبناءا على ذلك فإن الحماية عن القائد الحقّ هي رمز وسر قمّة الأفضليّة، ومن الأصول القيّمة الممتازة.

١٥- جاء في مقطع من إحدى الزيارات لرسول الله صلى الله عليه وآله (والتي نقلت من الائمة عليهم السلام) التالي:

السلام على أزواجك الطّاهرات الخيرات، أمّهات المؤمنين، خصوصاً الصّديقة الطّاهرة، الزّكيّة الرّاضيّة المرضيّة، خديجة الكبرى أمّ المؤمنين.[٢٢١]

جاءت كلمة أم المؤمنين على زوجات الرسول صلى الله عليه وآله لأنه يحرم الزواج بهن من بعد الرسول صلى الله عليه وآله، ويجب احترام حرمتهن وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يتم الزواج بهن.

وجاء في مقطع من إحدى الزيارات لخديجة عليها السلام التالي: السلام على خديجة سيّدة نساء العالمين.[٢٢٢]

خديجة عليها السلام زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشتاقت الجنّة الى اربعٍ من النساء: مريم بنت عمرانٍ وآسية بنت مزاحمٍ زوجة فرعون وهي زوجة النّبيّ في الجنّة وخديجة بنت خويلدٍ زوجة النّبيّ في الدّنيا والآخرة، وفاطمة بنت محمّدٍ صلى الله عليه وآله.[٢٢٣]

نظرة إلى مقام آسية، مريم والزهراء عليهن السلام

نظراً لذكر السيدة خديجة عليها السلام بجانب السيدة آسية والسيدة مريم والسيدة فاطمة الزهراء عليهن السلام في موارد متعددة في الروايات فإننا وجدنا انه يجب أن نلقي الضوء على مقام السيدة آسية عليها السلام والسيدة مريم عليها السلام ولو بصورة مختصرة، لذلك نلفت نظركم الى الآتي:

من هي السيدة آسية عليها السلام

كانت آسـية عليها السلام امرأة فرعون من إحدى نسـاء بني اسرائيل القديرات والمحترمات، وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرّاً، وكانت السـبب في نجاة موسـى عليه وعلى نبيّنا السـلام من القتل على يد الفراعنة وقد خدمت موسـى كثيراً، وكانت الحارسـة والحافظة لموسـى عليه السلام، حتّى استشـهدت على يد زوجها.

فقـد جاءهـا فرعون وأخبرها بما صنع بالماشـطة وأولادها وشـهادتهم، فقالت آسـية: الويل لك يا فرعون، ما أجرأك على الله جلّ وعلا؟

فقال لها: لعلّك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك.

فقالت: ما اعتراني جنون لكن آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين.

فدعـا فرعـون أمهـا فقال لهـا: إن ابنتـك أخذها الجنـون، فاقسـم لتذوقن المـوت أو لتكفـرن بإله موسى.

فخلـت بها أمها فسـألتها موافقة فرعون فيما أراد، فأبت وقالت: أمـا أن أكفر بالله فلا والله لا أفعل ذلك أبدا.

فأمر بها فرعون حتى مدّت بين أربعة أوتاد في الشمس الحارقة ووضعوا على صدرها صخرة كبيرة فكانـت تتنفـس ببطء ووضعت تحت التعذيب الشـديد ثم لا زالـت تعذب حتى ماتـت، كما قال الله سبحانه : «وفرعون ذي الاوتاد».

فمرّ بها موسى وهو يعذّبها فشكت إليه بإصبعها، فدعا الله موسى أن يخفف عنها، فلم تجد للعذاب مسّا، وقالت وهي في العذاب: ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة.

فـرفـع روحهـا الى الجنّـة فأطعمهـا وشرّبهـا مـن طعـام وشراب الجنّة: أوحـى الله بهـا أن ارفعي رأسك.

ففعلت فأريت البيت في الجنة بنى لها من درّ فضحكت، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها، تضحك وهي في العذاب.

وبذلك استشـهدت السيّدة المقاومة والعطوفة التي لها الحقّ الكثير على موسى عليه السلام والذي أنقذته في مواردٍ ومواقع مختلفة من الأعداء.(٢٢٤)

وقد جاء في القرآن (الآية ١١ و ١٢ من سـورة التحريم) بأن السـيّدة مريم عليها السلام والسـيّدة آسـية من النساء الصالحات والخيّرات مثلما ذكرنا من قبل.

من هي السيّدة مريمعليها السلام

السـيّدة مريم بنت عمران هي من السـيّدات العاقلات والحكيمات ومن الشـخصيات المميّزات في بني اسرائيل، والد مريمعليها السلام ويسـمى عمران، كان من نسـل سـيّدنا سـليمانعليه السلام، وكان يُعد من العلماء البارزين والعابدين في بني اسرائيل.

جاء اسم مريمعليها السلام ٣٤ مرّة في القرآن، وإحدى السور القرآنية تسمى بسورة مريم (السورة التاسعة عشر) حيث تتطرق من بدايتها الى نهاية الآية ٣٦ لقصة ولادة عيسىعليه السلام وحديثه وهو في المهد، وجزء من حياته وكيفيّة بدؤه بالدّعوة.

قبل ولادة عيسـىعليه السلام، جاءت الملائكة وبشّرت مريمعليها السلام بولادته، وعرّفوه لها، كما جاء في الآية ٤٥ من سورة آل عمران، نقرأ:

﴿إذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنّ اللهَ يُبشّرك بكلمةٍ منه اسـمه المسـيحُ عيسـى بن مريمَ وجيهاً في الدّنيا والآخرة ومن المقرّبينَ﴾.

ترعـرع عيسـى عليه وعلى نبيّنا السّـلام تحت رعايـة والدته مريمعليها السلام وفي سـن الثانية عشرة اتجه الى مجلس العابدين والعلماء وبدأ معهم بالمناظرات، وكانت تبدو عليه في ذلك السّن آثار العظمة والمعرفة الفائقة في وجهه.

فبعث عيسىعليه السلام في سن الثلاثين، بالرغم من أنه في طفولته وفي المهد نال مقام النّبوّة كما جاء في الآية (٣٠) من سورة مريم، ولكنه بعث برسالته رسمياً في سن الثلاثين.[٢٢٥]

من هي فاطمة الزهراء (س)

هنـاك الكثير من الأحاديث في فضل ومقام وعظمة السّـيدة الزهراء سـلام الله عليها، وواضح أنه يحتاج الى كتابٍ مستقل، وهنا نكتفي بذكر هذا الحديث:

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: رائحة الأنبياء رائحة السفرجل، ورائحة حور العين رائحة الآس[٢٢٦]، ورائحة الملائكة رائحة الورد، ورائحة ابنتي فاطمة الزهراء رائحة السفرجل والآس والورد.[٢٢٧]

مباهاة الأئمةعليهم السلام والكبار على الوجود الشريف لخديجةعليها السلام

افتخـر وباهى الرسـولصلى الله عليه وآله والمعصومينعليهم السلام بوجود السّـيدة القديرة خديجـةعليها السلام في مواقف عديدة، وفي هذا المجال توجهوا الى الروايات التالية:

ألف: ذات يوم قال رسول اللهصلى الله عليه وآله في المسجد بين النّاس وهو يذكر الحسن والحسين عليهما السلام:

أيها النّاس! ألا أخبركم بخير النّاس جدّاً وجدّةً.

قال الحاضرون: نعم، أخبرنا.

قال: الحسن والحسين، جدّهما رسول الله وجدّتهما خديجة بنت خويلدٍ.(٢٢٨)

ب: قال الامام الحسينعليه السلام في يوم عاشوراء وهو يعرّف بنفسه من ضمن خطبته: أقسمكم بالله، ألا تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد،...(٢٢٩)

وقال أيضا في خطابه: ألا تعلمون أنّي ابن زوجة الرسولصلى الله عليه وآله خديجةعليها السلام.(٢٣٠)

ج: عرّف الامام السّجادعليه السلام نفسه في مجلس يزيد في دمشق وقال في مقطع من خطبته المعروفة: أنا بن خديجة الكبرى.(٢٣١)

والشئ الذي يجب أن نلتفت اليه هو: أن الرسولصلى الله عليه وآله هو الذي لقّب خديجةعليها السلام بالكبرى.(٢٣٢)

د: نقرأ في مقطع من دعاء الندبة مع التوجه لوليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف: أين ابن النبيّ المصطفى، وابن عليّ المرتضى، وابن خديجة الغرّاء.

وهنا جاءت كلمة الغرّاء كصفة لخديجةعليها السلام.

هـ: قالت زينبعليها السلام في كربلاء في اليوم الحادي عشر من محرم سنة ٦١ هـ.ق عندما جاءت عند جثث الشهداء المقطّعة وعندما ذكرت الرسولصلى الله عليه وآله وعليّعليه السلام وخديجةعليها السلام:

بأبي خديجة الكبرى.(٢٣٣)

و: ذُكرت خديجةعليها السلام في أغلب الروايات التي نظّمها الائمة المعصومينعليهم السلام وأولياء الله للأئمة وذراريهمعليهم السلام، وبعد السلام على الأنبياء وأولوا العزم يُسلّم عليها، حتّى يتجدد ذكراها ويسلم المؤمنون الزّائرون عليها، ويجعلونها وسيلة الى الله عزّ وجلّ.

ز: قال زيد بن الامام السّجّادعليه السلام و في خطبةٍ له :

ونحن أحقُّ بالمودّة، أبونا رسول الله وجدّتنا خديجة....(٢٣٤)

ح: افتخر عبد الله بن زبير بخديجةعليها السلام بأنها عمّته عند حديثه مع ابن عبّاس وقال: ألست تعلم أنّ عمّتي خديجة سيّدة نساء العالمين.(٢٣٥)

ط: عندما رقد الرسولصلى الله عليه وآله في فراش الموت،كانت فاطمة الزهراء سلام الله عليها حزينة وتبكي كثيراً.

فكان الرسولصلى الله عليه وآله يصبّرها بوجود عليّعليه السلام والذي يمتاز بمميزات خاصة، وذكر خديجةعليها السلام في مقطع من حديثه وقال: ابشري، إنّ عليّاً أوّل من آمن بالله عزّ وجلّ ورسوله من هذه الأمّة، هو وخديجة أمُّك.(٢٣٦)

إرتباط خديجةعليها السلام العميق بالله واعتقادها القوي

كان لخديجةعليها السلام رابطة وعلاقة عميقة وقوية بمستوى عالٍ مع الله سبحانه وتعالى، لذلك كان لها قلباً قوياً ومحكماً وذا استقامة وثبات، وكان لها حرز وفي ضوئه كانت ترتبط بالله عزّ وجلّ.

نقل العالم الكبير سيّد بن طاووس في كتاب مهج الدّعوات حرزين خاصين بالسّيدة خديجةعليها السلام، حيث نلفت نظركم اليهما:

١- بسم الله الرحمن الرحيم، يا حيٌّ يا قيّوم، برحمتك أستغيث فأغثني، ولا تكلني الى نفسي طرفة عينٍ أبداً، واصلح لي شأني كلّه.

٢- بسم الله الرحمن الرحيم، يا الله يا حافظُ يا حفيظُ يا رقيبُ. (٢٣٩)

زاد إيمان وارتباط خديجةعليها السلام بالله سبحانه وتعالى وقوي علاقتها به بمصاحبتها للرسول صلى الله عليه وآله ورؤيتها للمعجزات و علامات صدقه، والسّيدة التي تهب كل ثروتها وأموالها وروحها في سبيل الاسلام وتتخلّى عن كل وجودها في هذا المجال بالطبع يدل ذلك على أن لها اعتقاد قوي وعميق جداً.

جاء في الرواية أنه جاءت عند خديجةعليها السلام امرأة عمياء وكانت خديجةعليها السلام تعتني فيها وتراعيها فقال صلى الله عليه وآله: لتكونن عيناك صحيحتين.

فصحّتا، فقالت خديجةعليها السلام: هذا دعاءٌ مباركٌ.

فقال: وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين. (٢٤٠)

وبرؤية خديجةعليها السلام لتلك الكرامات كان ايمانها واعتقادها يزداد يوما عن يوم وتستقيم وتتعمق أكثر في الاسلام.

بيت خديجةعليها السلام المبارك

يجب التوجه الى أن بيت خديجةعليها السلام من أقدس الأماكن في مكة لأن هذا البيت كان الأساس للاعمال الصالحة والخيّرة والحوادث الكبيرة مثل: محبّة خديجةعليها السلام وايثارها في ذلك المنزل بالفقراء والمساكين، زواج الرسولصلى الله عليه وآله في ذلك البيت، لجوء الرسولصلى الله عليه وآله الى خديجةعليها السلام من كيد الأعداء في ذلك المنزل، بداية المعراج بجانب ذلك المنزل، ولادة أبناء خديجةعليها السلام ومنهم الزهراء سلام الله عليها، عبادات الرسولصلى الله عليه وآله وخديجةعليها السلام في ذلك المنزل والمئات من الآثار الطّيبة التي ظهرت من ذلك البيت ونفعت الاسلام.

وينقل العلامة المجلسي من كتاب «المنتقى في مولد المصطفى» : أن مكان هذا البيت معروف

في مكّة، ويقال أن معاوية اشتراه في أيام خلافته وحوّله الى مسجد، وبنى بناءاً في ذلك المكان لمسجد. [٢٤١]

ويقول أحد أهل الاطّلاع: إن بيت خديجةعليها السلام يقع الآن في سوق أبي سفيان، عندما تدخل السوق تجد زقاقا في الجهة اليمنى للسوق، هناك يقع البيت وعادةً يكون بابه مقفولاً.

وعلى كل حال، فإن من الأفضل ألا ينسى زائرون بيت الله والحجاج في الحج والعمرة زيارة ذلك البيت، ويجدوا البيت بعد السؤال، ويقوموا بالصلاة والدعاء في ذلك المنزل، ويزوروا ذلك المكان المقدّس جداً بكل اخلاص، ويتذكّروا تضحياتها، فإن ذلك مؤثّر جداً، ونافع لصفاء القلب والتكامل المعنوي، ويجلّلوا تضحياتها بسلامهم الخالص على الرّوح الطّاهرة لخديجةعليها السلام.

تذكّر النبيصلى الله عليه وآله وسلم المستمر لخديجةعليها السلام

مثلما سنقول أن السيدة خديجةعليها السلام توفّيت في السنة العاشرة من البعثة، وعاش الرسولصلى الله عليه وآله وسلم لمدّة اثنى عشرة سنة من بعدها، وكان يتذكرها دائما في هذه المدّة، ويتذكر ذكرياتها الجميلة ومواقف ايثارها، وأحيانا يبكي عند تذكّرها، ويذرف دموع الشوق ودموع الفراق عليها، لأنه لمس منها الكثير من المحبة واللطف، وهناك شواهد كثيرة من التاريخ تبين مدى تذكّر النّبيصلى الله عليه وآله وسلم لخديجةعليها السلام، وهنا نلفت نظركم الى عدّة نماذج من تلك الشواهد:

- ذات يوم جاءت عجوز عند رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، فعاملها بكل لطف ومحبّة، وعندما ذهبت العجوز سألت عائشة الرسولصلى الله عليه وآله وسلم عنها، فقالصلى الله عليه وآله وسلم: إنّها كانت تأتينا في زمن خديجةعليها السلام، وإنّ حُسنَ العهد من الايمان. [٢٤٥]

بكاء الرسولصلى الله عليه وآله وسلم في مجلس زفاف السيدة الزهراء (س)

٥- في أوائل السنة الثانية للهجرة، وأيام الزواج المبارك الميمون للزهراء سلام الله عليها بعليّعليه السلام، جاء عقيل بن أبي طالب أخاه عليّعليه السلام وقال: يا أخي ما فرحت بشئ كفرحتي بتزويجك فاطمة بنت محمدصلى الله عليه وآله وسلم، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم يدخلها عليك فنقرّ عيناً باجتماع شملكما.

قال علي: والله يا أخي إني لأحب ذلك وما يمنعني من مسألته إلا الحياء منه فقال: أقسمت عليك إلا قمت معي.

فقاما يريدا رسول الله صلى الله عليه وآله فلقيا في الطريق أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله (والتي كانت سيدّة قديرة ومحترمة وكانت جارية لآمنة والدة الرسول صلى الله عليه وآله، وبعد وفاتها ورثها الرسول صلى الله عليه وآله وأعتقها[٢٤٧])، فذكرا ذلك لها فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلمه فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال.

ثم انثنت راجعة فدخلت إلى أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي صلى الله عليه وآله فاجتمعن عند رسول الله صلى الله عليه واله وكان في بيت عائشة، فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمرٍ لو أنّ خديجة في الأحياء لقرّت بذلك عينها.

قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدّقتني حين كذّبني الناس وآزرتنى على دين الله وأعانتني عليه بمالها، إن الله عزّ وجلّ أمرني أن أبشّر خديجة ببيتٍ في الجنة من قصب (الزمرد) لا صخب فيه ولا نصب.

قالت أم سلمة: فقلنا بآبائنا وأمهاتنا يارسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمرا إلا وقد كانت كذلك غير أنها قد مضت إلى ربها، فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنّته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله وهذا أخوك في الدنيا وابن عمّك في النّسب عليّ بن أبي طالب يحبّ أن تدخل عليه زوجته فاطمةعليها السلام، وتجمع بها شمله.[٢٤٨]

فبعث الرسول صلى الله عليه وآله بأم أيمن وأمرها والآخرين بإقامة مراسم الزواج وأخذوا الزهراء سلام الله عليها وذهبوا بها الى بيت عليّعليه السلام.

إطعام الرسول صلى الله عليه وآله أحباء خديجةعليها السلام

٧- كان الرسول صلى الله عليه وآله لآخر يوم من عمره يحب أحبّاء وصديقات خديجةعليها السلام، الى حدّ أنه كلما يذبح الشاة يتبع بها صديقات خديجةعليها السلام فيهديها لهن ويجدّد ذكريات السيدة خديجةعليها السلام العطوفة والحنونة، ويسعد بذلك.[٢٥١]

وقال عن ذلك أنس بن مالك: كلما كان الرسول صلى الله عليه وآله يحصل على هدية يقول: ابعثوها الى منزل السيدة فلان، فهي كانت صديقة خديجةعليها السلام.[٢٥٢]

ونقل عن أم رومان: كان لخديجةعليها السلام جار، فوصّت الرسول صلى الله عليه وآله به، ومنذ ذلك الوقت كلما يأتوا اليه بطعام يأمر ببعضه لذلك الجار.[٢٥٣]

عين الرسولصلى الله عليه وآله الباكية لرؤيته قلائد خديجةعليها السلام

٨- كان أبو العاص بن ربيع ابن هالة أخت خديجةعليها السلام فكانت خديجةعليها السلام تحبه كأحد أبنائها، لذلك طلبت من الرسولصلى الله عليه وآله بأن يوافق على زواجه من زينب (إحدى بنات خديجةعليها السلام)، فقبل الرسولصلى الله عليه وآله بذلك، وتزوجت زينب أبو العاص.

عندما هاجر الرسولصلى الله عليه وآله الى المدينة، بقيت ابنتاه زينب ورقيّة في مكة لأن زوجيهما كانا في مكة.

وعندما حدثت غزوة بدر (في السنة الثانية للهجرة) بين جيش الاسلام وجيش المشركين، كان أبو العاص في جيش الأعداء وكان من السبعين نفر الذين أُسروا على يد جيش الاسلام في هذه الحرب.

وبعد مدّة عندما قرر الرسولصلى الله عليه وآله بإطلاق الأسرى الكفار بدفع الفدية عنهم، بعث أبو العاص الى زينب لتفديه ببعض الأموال حتى يطلق سراحه.

فجهّزت زينب بعض الأموال ووضعت قلائدها فوقها وكانت هذه القلائد قد جهّزتها خديجةعليها السلام لها في يوم زواجها، وبعثتها الى أبي العاص، فقدّم أبو العاص الاموال والقلائد الى رسول اللهصلى الله عليه وآله كفدية.

فلما رأى رسول اللهصلى الله عليه وآله تلك القلائد، نزلت الدموع من عينيه كحبّات اللؤلؤ وبكى وقال: رحم الله خديجة، هذه قلائدٌ هي جهّزتها بها.

فأطلقه رسول اللهصلى الله عليه وآله بشرط أن يبعث إليه زينب ولا يمنعها من الالتحاق به فعاهده على ذلك ووفى له.[٢٥٤]

ونقرأ في مقطعٍ آخر من التاريخ: أنه بعدما تذكّرها قالصلى الله عليه وآله: كأن قد صعب جدا على زينب فك تذكار والدتها من على رقبتها وإرساله إلينا.[٢٥٥]

عندما شاهد المسلمين هذه الحالة البادية على رسول اللهصلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله! قد عفونا عن حقّنا، فإن كنت تريد تلك القلائد فخذها، وإلا إبعثها الى زينب.

وعلى نقلٍ آخر: أن الرسولصلى الله عليه وآله استأذن من المسلمين في تلك القلائد فأجابوا بالجواب السابق.

أطلق رسول الله عليه وآله أبو العاص وبعث بأمواله والقلائد الى زينب وقال لأبو العاص: اعلم أن زينب لا تحل لك، لأنها مسلمة وأنت كافر، فابعثها لي عند وصولك مكة.

فقبل أبو العاص بذلك، وبعث الرسولصلى الله عليه وآله زيد بن حارثة الى مكة حتّى يأتي بزينب، فبعثها أبو العاص مع زيد الى المدينة.

وأخيراً أسلم أبو العاص قبل فتح مكة، وعاد الى المدينة، وأتى رسول اللهصلى الله عليه وآله مسلماً وحسن إسلامه،

وردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته زينب بنكاحٍ جديد، وواصلا حياتهما حتّى توفّى أبو العاص في السنة الثانية من الهجرة.[٢٥٦]

تعويض مهر خديجةعليها السلام بفدك

٩- في السنة السابعة من الهجرة، بعدما فتح جيش الاسلام بقيادة الرسول صلى الله عليه وآله خيبر، وخسر اليهود، وطبقاً لأقوال البلاذري في كتابه فتوح البلدان، بعث أهل فدك[٢٥٧] رئيسهم يوشع بن نون الى الرسول صلى الله عليه وآله لإجراء عقد صلح بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وآله وكان العقد ينص على أن يعطوا فدك لرسول صلى الله عليه وآله حتّى ينعموا بالأمان تحت راية الاسلام...

وبهذا الترتيب حصل الرسول صلى الله عليه وآله على فدك بالصلح وبدون أي هجوم أو استخدام السلاح وأصبحت من أمواله الخاصة (وليست من بيت المال والاموال العامة)[٢٥٨] ومع نزول الآية (٧) من سورة الحشر، أصبحت فدك بعنوان «الفيء» من مال الله والرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

كانت فدك كذلك حتّى نزلت الآية (٢٤) من سورة الإسراء: «وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السّبيل».

نقل الكثير من المفسّرين والمحدّثين الشيعة والسّنة بأن: عندما نزلت هذه الآية طلب رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة سلام الله عليها وأعطاها فدك.[٢٥٩]

والشيء الذي يجب أن يذكر هنا في هذا الكتاب هو أن الامام الصادقعليه السلام قال: حصل الرسول صلى الله عليه وآله على فدك فلما دخل المدينة دخل على فاطمة فقال: يا بنية إن الله قد أفاء على أبيك بفدك، واختصّه بها فهي له خاصة دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء، وإنه قد كان لأمك خديجة على أبيك مهر، وإنّ أباك قد جعلها لك بذلك وأنحلتكها تكون لك ولولدك بعدك.[٢٦٠]

هذه القصة تبين حسن عهد الرسول صلى الله عليه وآله بخديجةعليها السلام وتجديد ذكرياتها.

خديجةؑ ومعراج النّبيّ ﷺ

من إحدى الظواهر المهمّة جداً في الحياة المشرقة للرسول ﷺ هي معراج النبي ﷺ من مكّة الى البيت المقدّس، ومن هناك الى السماوات والذي حصل في السنة الثالثة أو العاشرة من البعثة(٢٦١)، وبناءاً على القول المعروف والمناسب ذكره هنا:

أنه طبقاً لبعض الأقوال المنقولة أن معراج الرسول ﷺ بدأ من بيت خديجةؑ ورجوعه كان أيضاً لبيت خديجةؑ.

روي أن الامام الباقرؑ قال: جبرئيلؑ نزل بالبراق، فوقفه على باب خديجةؑ، ودخل على رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ فركب ليلاً وتوجّه نحو بيت المقدس (حيث تم الجزء الاول من المعراج)... (٢٦٢)

وطبقاً لبعض الشواهد والقرائن، أن الرسول ﷺ حين عودته من المعراج نزل ببيت خديجةؑ، ولادراك المزيد عن المقام المشرق للسيدة خديجةؑ في معراج النبي ﷺ، نلفت نظركم الى الروايتين الآتيتين:

١- سلام الله على خديجةؑ

حدّث أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: قلت لجبرئيل عليه السلام ليلة أسري بي عند الرجوع: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟

قال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومنّي السّلام.

وحدّثنا عند ذلك أنها قالت حين لقاها نبي الله ﷺ فقال لها الذي قال جبرئيل، فقالت: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام وعلى جبرئيل السلام.(٢٦٣)

هذا المطلب يبيّن مدى مقام السيدة خديجةعليها السلام عند الله سبحانه وتعالى وعظمتها.

٢- ارتباط الرسول صلى الله عليه وآله المقدّس بخديجةعليها السلام بعد المعراج

قال الرسول صلى الله عليه وآله ضمن بيانه لحادثة المعراج: أخذ جبرئيلعليه السلام بيدي فادخلني الجنّة فإذا أنا بشجرة من نور أصلها ملكان يطويان الحلل والحلي، فقلت: حبيبي جبرئيل لمن هذه الشجرة؟

فقال: هذه لأخيك علي بن أبي طالب وهذان الملكان يطويان له الحلي والحلل الى يوم القيامة.

٣- النبع العجيب لولادة الزهراء (س) من خديجةعليها السلام

من إحدى الحوادث العجيبة في الحياة المشرقة للسيدة خديجةعليها السلام هي ولادتها للزهراء سلام الله عليها، لأنها كانت تملك اللياقة حتّى تكون لها بنتاً كالزهراء سلام الله عليها والتي هي أفضل نساء الدّنيا والآخرة، ولن تصل أيّة امرأة الى مقامها أو تولد امرأة مثلها من أول الخلقة الى آخره.

نقل روايات كثيرة ومتعددة عن كيفية انعقاد نور فاطمة سلام الله عليها في رحم خديجةعليها السلام وعن ولادة السيدة الزهراء سلام الله عليها، حيث كل منها تبين جزء من المقام القدير للسيدة خديجةعليها السلام والسيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ولتوضيح المطلب نلفت نظركم الى عدد من الروايات:

- نقل في تفسير الفرات عن أمير المؤمنين عليعليه السلام أنه قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله الآية: «طوبى لهم وحسن مآبٍ».[٢٦٦]

قام مقداد بن الاسود الكندي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله وما طوبى؟

قال: يا مقداد شجرة في الجنّة لو يسير الراكب الجواد لسار في ظلّها مائة عام قبل أن يقطعها، ورقها وقشورها...

قال عمّار بن ياسر: ذات يوم قالت فاطمة الزهراء سلام الله عليها لعليّعليه السلام: اعلم يا أبا الحسن أن الله تعالى خلق نوري وكان يسبّح الله جلّ جلاله ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت فلما دخل أبي الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاما أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك ففعل فأودعني الله سبحانه صلب أبي صلى الله عليه وآله ثم أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني وأنا من ذلك النور أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى.[٢٧٠]

عن الفضل بن شاذان عن سلمان الفارسي أنه قال: دخلت علي فاطمةعليها السلام والحسن والحسين يلعبان

بين يديها ففرحت بهما فرحاً شـديداً، فلم ألبث حتى دخل رسـول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسـول الله أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزداد لهم حباً.

فقال: يا سلمان ليلة أسري بي إلى السماء إذ رأيت جبرئيل في سماواته وجنانه، فبينما أنا أدور قصورها وبساتينها ومقاصرها إذ شممت رائحة طيبة، فأعجبتني تلك الرائحة فقلت: يا حبيبي ما هذه الرائحة التي غلبت على روائح الجنة كلها؟

فقال: يا محمد تفاحة خلق الله تبارك وتعالى بيده منذ ثلاثمائة ألف عام ما ندري ما يريد بها.

فبينـا أنا كذلك إذ رأيـت ملائكة ومعهم تلك التفاحة، فقال: يا محمّد ربّنا يقرأ عليك السـلام وقد أتحفك بهذه التفاحة.

فقـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: فأخـذت تلك التفاحة فوضعتهـا تحت جناح جبرئيل، فلـما هبط إلى الارض أكلت تلك التفاحة، فجمع الله ماءها في ظهري، فغشيت خديجة بنت خويلد فحملت بفاطمة من ماء التفاحة، فأوحى الله عزّ وجلّ إلي أن قد ولد لك حوراء إنسية... هذه الحوريّة كانت فاطمة عليها السلام.[٢٧١]

الاجابة على سؤال

هنا يطرح هذا السـؤال حيث طبقاً للقول المعروف الذي نقله المحدّثون الشّـيعة أن فاطمة الزهراء سـلام الله عليها ولدت في السـنة الخامسـة من البعثة، اذن كيف تتوافق الروايات المذكورة (التي تبيّن تعلق نطفة فاطمة عليها السلام في خديجة عليها السلام بعد معراج الرسول صلى الله عليه وآله) مع ولادتها؟

وللإجابة على هذا السؤال توجهوا الى النقاط التالية:

١- أن الرسـول صلى الله عليه وآله لم يكـن معراجـه منحصراً في مرّة واحـدة، حتّى لا تتوافق تلـك الروايات، بل روي عن الصّادق عليه السلام أنه قال: عرج بالنّبي صلى الله عليه وآله مائة وعشرين مرّة.[٢٧٢]

٢- أنـه ظهرت اختلافات في السـنة والشـهر الذي تمّ فيه معراج الرسـول صلى الله عليه وآله وجـاء طبقاً لبعض روايات المعراج أنه عرج في السنة الخامسة من البعثة، ومنها تحكي أن معراجه حصل في السنة الثانية أو الثالثة من البعثة [٢٧٣]، وحسب قول بعض المحقّقين أنّ هذا القول هو أفضل وأظهر الأقوال.[٢٧٤]

ومـن جانبٍ آخر بالنسـبة للسـنة التي ولدت فيها السـيدة فاطمـة الزهراء سـلام الله عليها، أيضا حصلت فيها اختلافاتٍ شـديدة، وبناءاً على هذا ومع التوجه الى جميع الجوانب فإن من الممكن تطابق وتوافـق الروايـات المذكورة مع السـنة التي ولدت فيها الزهراء سـلام الله عليهـا، والاجابة على ذلك السؤال.

اعتزال النبي صلى الله عليه وآله عن خديجة عليها السلام أربعين يوماً

من المعروف أن فاطمة سلام الله عليها ولدت في السنة الخامسة من البعثة، ذات يوم وفي السنة الرابعة من البعثة وبينما النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً بالابطح ومعه عمار بن ياسر، والمنذر بن الضحضاح، وأبوبكر، وعمر، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام في صورته العظمى، قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه: يا محمد العلي الاعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً، فشقّ ذلك على النبي صلى الله عليه وآله، وكان لها محبّاً وبها وامقاً.(٢٧٥)

قال: فأقام النبي صلى الله عليه وآله أربعين يوماً، يصوم النهار، ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال قل لها: يا خديجة لا تظنّي أن انقطاعي عنك ولا قلي (٢٧٦)، ولكن ربي عزّ وجلّ أمرني بذلك لتنفّذ أمره، فلا تظني يا خديجة إلا خيرا، فإن الله عزّ وجلّ ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مرارا، فإذا جنك الليل فأجيفي(٢٧٧) الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإني في منزل فاطمة بنت أسد.

فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مرارا لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كان في كمال الاربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العلي الاعلى يقرئك السلام، وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته.

قال النبي صلى الله عليه واله: يا جبرئيل وما تحفة رب العالمين؟ وما تحيته؟

قال: لا علم لي.

قال: فبينا النبي صلى الله عليه وآله كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، أو قال: إستبرق، فوضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان النبي صلى الله عليه وآله إذ أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يرد إلى الافطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي صلى الله عليه وآله على باب المنزل، وقال: يا بن أبي طالب إنه طعام محرم إلا علي.

قال عليّ عليه السلام: فجلست على الباب وخلا النبي صلى الله عليه وآله بالطعام، وكشف الطّبق، فإذا عذق من رطب، وعنقود من عنب، فأكل النبي صلى الله عليه وآله منه شبعا، وشرب من الماء ريّاً، ومدّ يده للغسل فأفاض الماء عليه جبرئيل، وغسل يده ميكائيل، وتمند له إسرافيل، وارتفع فاضل الطعام مع الاناء إلى السماء، ثم قام النبي صلى الله عليه وآله ليصلّي (النافلة) فأقبل عليه جبرئيل، وقال: الصّلاة محرمة عليك في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإن الله عزّ وجلّ آلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة، فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزل خديجة.

ولادة السيدة فاطمة الزهراء (س) واحترام النسوة الجليلات لخديجةعليها السلام

نقل الشيخ الصّدوق في كتاب الامالي بسنده: عن المفضل بن عمر أنه قال:

قلت لابي عبدالله بن جعفر بن محمد عليهما السلام:كيف كانت ولادة فاطمةعليها السلام؟ قال: نعم، إن خديجة عليها رضوان الله لما تزوج بها رسول اللهصلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة من ذلك، فلما حملت بفاطمةعليها السلام صارت تحدّثها في بطنها وتصبّرها، وكانت خديجة تكتم ذلك عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، فدخل يوما وسمع خديجة تحدّث فاطمة، فقال لها: يا خديجة من يحدّثك؟

قالت: الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني.

فقال لها: هذا جبرئيل يبشّرني أنها أنثى، وأنها النسمة الطّاهرة الميمونة، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة في الامة، يجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة رضي الله عنها على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها عصيتينا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجئ ولا نلي من أمرك شيئا.

فاغتمّت خديجة لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن، فقالت لها إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فإنا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه صفراء بنت شعيب، بعثنا الله تعالى إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء.

فجلست واحدة عن يمينها، والاخرى عن يسارها، والثالثة من بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت خديجة فاطمةعليها السلام طاهرة مطهّرة، فلما سقطت إلى الارض أشرق منها النّور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الارض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور.

فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدّ بياضاً من اللبن، وأطيب رائحة من المسك والعنبر، فلفّتها بواحدة، وقنعتها بالاخرى، ثم استنطقتها فنطقت فاطمةعليها السلام بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن أبي رسول اللهصلى الله عليه وآله سيّد الانبياء، وأن بعلي سيّد الاوصياء، وأن ولدي سادة الاسباط، ثم سلمت عليهن، وسمّت كل واحدة منهن باسمها، وضحكن إليها وتباشرت الحور العين، وبشّر أهل الجنة بعضهم بعضا بولادة فاطمةعليها السلام.

وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك اليوم، فلذلك سميت الزهراءعليها السلام، و قالت: خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها.

فتناولتها خديجةعليها السلام فرحة مستبشرة، فألقمتها ثديها، فشربت فدرّ عليها، وكانتعليها السلام تنمي في كل يوم كما ينمي الصبي في شهر، وفي شهر كما ينمي الصبي في سنة، صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها.[٢٨٢]

حادثة شقّ القمر وتسلية فاطمة (س) والدتها

من العجائب التي حصلت أنه عندما كانت فاطمة سلام الله عليها في رحم والدتها خديجةعليها السلام في السنة الرابعة من البعثة وفي الأشهر الأولى من السنة الخامسة من البعثة بناءاً على القول المعروف، حيث أمر الله عزّ وجلّ الرسولصلى الله عليه وآله بإفشاء الاسلام والدعوة اليه والحوادث المرّة التي حصلت له من قبل المشركين، كان الرسولصلى الله عليه وآله في أوضاع صعبة جداً ومن الطبيعي أن تكون خديجةعليها السلام شريكته في الهموم والغموم وتتألم بشدة لآلامه.

في هذه الأيام كانت فاطمة سلام الله عليها تتحدّث مع أمّها وهي في الرحم وتصبّرها، كما ذكرنا نموذج عن ذلك، ومن بين الحوادث التي كانت فاطمة سلام الله عليها تصبّر خديجةعليها السلام فيها هي حادثة شقّ القمر.

توضيح

جاء طبقاً للروايات المشهورة أن المشركين جاءوا الى رسول اللهصلى الله عليه وآله وقالوا: إن كنت رسول الله فاشقق القمر.

قال الرسولصلى الله عليه وآله: إن فعلت ذلك فهل تؤمنوا؟

قالوا: نعم.

وكانت تلك الليلة ليلة الأربعة عشر، فطلب الرسولصلى الله عليه وآله ذلك من الله سبحانه وتعالى، فاستجاب الله له، وانشق القمر الى جزئين، فناداهم الرسولصلى الله عليه وآله فرداً فرداً وقال لهم اشهدوا على ذلك.[٢٨٣]

بالرغم من أن المشركين شاهدوا معجزة شق القمر إلا أن ذلك زاد من كفرهم وقالوا: هذا سحر، مثلما تدل الآيات الثلاثة الأولى من سورة القمر على ذلك.

فتأثّر الرسولصلى الله عليه وآله من قول المشركين وعاد مساءا الى البيت، فاستقبلته خديجةعليها السلام فقالت له وهي مسرورة: يا رسول الله! لقد شاهدت معجزتك من على السطح، والأعجب من ذلك أنّ الطفل الذي في بطني قال لي (حيث كنتُ مضطربة فكان يصبّرني):

يا أمّاه! لا تخشي على أبي، ومعه ربُّ المشارق والمغارب.

فابتسم الرسولصلى الله عليه وآله وقال: لم يعط الله لأي نبي كما أعطاني من المعجزات.

فأنشد أبو طالب بأشعار بشأن معجزة شقّ القمر.(٢٨٤)

نذر السيدة خديجةعليها السلام وإعلان دستور الله

لّما حملت خديجةعليها السلام بفاطمة سلام الله عليها، نذرت مثل «حنّة» والدة مريمعليها السلام وقالت:

الهي، إنني أفضل من والدة مريم ومحمدصلى الله عليه وآله بعلي أفضل من عمران بعل والدة مريم، لذا أعتقت ما في رحمي لوجهك (أي: جعلتها حرّاً عندما تبلغ سن الرشد والبلوغ لتكون في خدمة المسجد الحرام والدين وتكون من الزاهدات والعابدات في المسجد).

فنزل جبرئيلعليه السلام الى الرسولصلى الله عليه وآله وقال: قل لخديجة أن الله تعالى يقول: لا إعتاق قبل الُملك، خلّي بيني وبين صفيّتي، فإنّي أملكها وهي أمُّ الأئمة وعتيقي من النار.(٢٨٥)

توضيح

أرادت خديجةعليها السلام كعادة أولياء الله في الأزمنة الماضية أن تنذر مثل والدة مريمعليها السلام وتتعهد بأن تكون إبنتها وقف لخدمة مسجد الحرام، ومن قبل كان هذا العمل معقول وعادي، فكانت تتصوّر أن هذا العمل سيكون من المستحبّات الكبيرة أيضا في الشريعة الاسلامية، وحديث جبرئيلعليه السلام يبيّن أن فاطمة سلام الله عليها ليست كباقي البنات، فهي مملوكة الله عزّ وجلّ وليست ملكك حتّى تنذرين بشأنها، وكان الهدف الأساسي من نذرها في خدمة بيت الله عزّ وجلّ هو العبودية الكاملة المحضة والنجاة من نار جهنم، فوصلت فاطمة الزهراء سلام الله عليها لهذا الهدف، وعلى اثر العبودية نجت من نار جهنم وأصبحت والدة الأئمّة المعصومينعليهم السلام.

لذلك انصرفت خديجةعليها السلام من هذا النذر لأن أهداف هذا النذر بشأن فاطمة الزهراء سلام الله عليها قد تحققت عند الله من قبل.

يحتمل أن يكون هذا التعبير «فاطمة أمّ الأئمة» إشارة الى أنه اذا كان لمريمعليها السلام ابن كعيسىعليه السلام قائد ومعصوم ومن أنبياء أولو العزم، فإن فاطمة سلام الله عليها سيكون لها إحدى عشرة إمام معصوم حيث جميعهم أبنائها.

بحث في أبناء خديجةعليها السلام

هناك عدّة أقوال وروايات مختلفة وعديدة نقلت في مسـألة أبناء خديجةعليها السلام والتي تحتاج الى البحث والتحقيق فيها.

المعـروف أن: خديجةعليها السلام كان لها ولدان من الرسـول صلى الله عليه وآله هما قاسـم و عبـد الله، وكلاهما قد توفّيا في سن الطفولة، حيث توفى قاسم قبل البعثة وعبد الله بعد البعثة وكان يلقّب عبدالله بالطّيب والطّاهر.

وبنات خديجةعليها السلام هن على الترتيب: رقيّة، زينب، أم كلثوم وفاطمة سلام الله عليها.

وعلى ذلك فإن السيدة خديجةعليها السلام كان لها ستة أبناء كما هو مشهور بين المحدّثين.

والبعض اعتبر الطّيب والطّاهر شـخصان حيث أحدهما لقب عبد الله والآخر لقب القاسم، أو انه كان ابن آخر للرسول صلى الله عليه وآله، وعلى ذلك فإن عدد أبناء خديجةعليها السلام يصبح سبعة.[٢٨٦]

وبصـورة عامة كانت السـيدة خديجةعليها السلام امرأة ولـودة، ولذلك كان الرسـول صلى الله عليه وآله يحبها، كما جاء في الرواية:

نظريّة العلامة سيّد محسن أمين وابن هشام

يقول العلامة سيّد محسن أمين رحمه الله: إن أبناء الرسول صلى الله عليه وآله هم:

١- قاسـم حيث كُني الرسـول صلى الله عليه وآله بهذا الاسم (أبا القاسـم)، عاش حتى مشى ثم توفى في مكّة قبل البعثة.

٢- عبد الله الذي لقّب بالطّيب والطّاهر، لقّب بهذا لأنه ولد بعد البعثة، وتوفى في مكّة.

٣- فاطمة الزهراء سلام الله عليها أصغر بنات الرسول صلى الله عليه وآله حيث تزوجت عليّعليه السلام بعد الهجرة.

٤- زينب: أكبر بنات رسـول الله صلى الله عليه وآله حيث تزوجت قبل الاسـلام بأبي العاص قاسـم بن ربيع ابن

هالة، أخت خديجةعليها السلام.

٥- رقيّةعليها السلام.

٦- أمّ كلثوم: زوّج الرسول صلى الله عليه وآله ابنتيه رقيّة وأم كلثوم لعُتبة وعتيبة ابنا عمه أبو لهب قبل البعثة، وعندما طلع الاسلام وعادى المشركون الرسول صلى الله عليه وآله، مشوا الى أبي العاص فقالوا: فارق صاحبتك بنت محمّد صلى الله عليه وآله ونحن ننكحك أي امرأة شئت من قريش.

فلم يقبل أبو العاص بذلك.

فعرض المشركون ذلك على عتبة و عتيبة ابنا أبو لهب، فقبلا بذلك، وطلّقا نساءهما رقيّة وأم كلثوم، فتزوج عثمان رقية ثم تزوّج أم كلثوم (عندما توفّيت رقيّة).

والدة هؤلاء الأبناء الستة كانت خديجةعليها السلام.

-٧ ابراهيم ابن مارية القبطية (إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله) والذي ولد في المدينة وتوفى في سن الثامنة عشرة شهراً في المدينة.[٢٨٩]

يقول ابن هشام في سيرته بعد ذكر الأبناء السبعة لخديجةعليها السلام (كما قلنا سابقا): قاسم، طيّب وطاهر توفوا قبل البعثة، أمّا بنات الرسول صلى الله عليه وآله فقد أدركن الاسلام، وأسلمن وهاجرن الى المدينة، وابنه الآخر ابراهيم كان من مارية القبطية.[٢٩٠]

وفي كتاب الاسناد نقل عن الامام الباقرعليه السلام أنه قال: ولد للرسول صلى الله عليه وآله من خديجةعليها السلام: القاسم، الطّاهر، أم كلثوم، رقيّة، فاطمة وزينب، وتزوج عليعليه السلام بفاطمة سلام الله عليها، وتزوج أبو العاص (قاسم) بن ربيع وهو رجل من بني أميّة زينب، وتزوج عثمان بأم كلثوم، فماتت ولم يدخل بها، فزّوجه الرسول صلى الله عليه وآله رقيّة عوضاً عنها.[٢٩١]

وطبقاً لرواية أخرى: لّما سار رسول الله صلى الله عليه وآله الى بدر لغزوة بدر (والتي حصلت في السنة الثانية للهجرة) زوّج رقيّة لعثمان.

وأيضا روى أن رقيّة ولدت من عثمان عبد الله صبياً لم يجاوز ست سنين، وكان ديك نقره على عينه فمات.[٢٩٢]

وأيضا نقل ابن عباس أن: أوّل من ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله بمكة قبل النبوة القاسم يكنى به، ثم ولد له زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم ولد له في الاسلام عبد الله، فسمي الطّيب والطّاهر، وأمهم جميعا خديجة بنت خويلد، وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم مات عبدالله بمكة، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع ولده فهو أبتر، فأنزل الله تعالى: «إن شانئك هو الابتر».[٢٩٣]

وأما بناته فزينب كانت زوجة أبي العاص واسمه القاسم بن الربيع، وكان لها منه ابنة اسمها أمامة،

فتزوجها المغيرة بن نوفل ثم فارقها، فتزوجها علي عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام، وكانت أوصت بذلك قبل فوتها، وتوفيت زينب سنة ثمان من الهجرة في المدينة.[٢٩٤]

ذكرنا من قبل أن زينب عليها السلام افترقت عن أبي العاص وهاجرت الى المدينة، ثم هاجر أيضا أبو العاص الى المدينة وقبل بالاسلام وأنكح زينب عليها السلام بنكاح جديد واستمر معها الى آخر العمر.

وكما ذكرنا في بداية الفصل الأول أن البعض يعتقد بأن خديجة عليها السلام كانت عذراء عند زواجها بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأن زينب ورقية هما ابنتا أختها هالة والتي كفّلتهما خديجة عليها السلام.[٢٩٥]

احترام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لرأي خديجة عليها السلام واختيارها

كان أبوالعاص من خديجة بمنزلة ولدها وكانت خديجة عليها السلام خالته، وعندما أراد أبو العاص الزواج بزينب سألت خديجة عليها السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يزوجه زينب وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف خديجة [٢٩٧]، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوجه إياها، فكانت خديجة عليها السلام الواسطة في زواج أبي العاص من زينب، فلما أكرم الله رسوله بنبوته آمنت به خديجة وبناته كلهن وصدقنه و شهدن أن ما جاء به حق ودنّ بدينه.[٢٩٨]

ولكن ثبت أبو العاص على شركه حتّى أصيب في الاسرى يوم بدر، فأتي به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان عنده مع الاسارى، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بعلها بمال، وكان فيما بعثت به قلادة كانت خديجة أمها أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رقّ لها بشدّة، وقال للمسلمين:

إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها ما بعثت به من الفداء فافعلوا.

فقالوا: نعم يا رسول الله نفديك بأنفسنا وأموالنا.

فردّوا عليها ما بعثت به، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء، وعاد الى مكة، وبعد مدّة جاء الى المدينة في سفره الى الشام وأسلم ومرة أخرى تزوّج زينب.[٢٩٩]

وهنا يوجد أيضا روايات أخرى منها: نقل عن قتادة أنه قال: لأول مرّة قبل البعثة ولدت خديجة عليها السلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولدان هما قاسم وعبدالله، وأربعة بنات هن: أم كلثوم، زينب، رقيّة وفاطمة سلام الله عليها.[٣٠٠]

ونقل عن ابن عباس أنه كان لخديجة عليها السلام عشرة أبناء وهم على الترتيب التالي:

١- عبدالله، ٢- زينب، ٣- رقيّة، ٤- قاسم، ٥- طاهر، ٦- مطهّر، ٧- طيّب، ٨- مطيّب، ٩- أم كلثوم، ١٠- فاطمة حيث كانت أصغرهم.[٣٠١]

ويجدر القول هنا أنّ المحدّثين المعروفين من السّنة كالقسطلاني و ديار بكري قالا أن لخديجة عليها السلام اثنى عشر أبناء وقالا أنهم ولدوا بعد البعثة فيما عدا عبد مناف.[٣٠٢]

تحقيق وتحليل

وبعد التحقيق عن أبناء خديجةعليها السلام حصلنا على الآتي: أولاد الرسـول صلى الله عليه وآله من خديجةعليها السلام هم ولدين قاسـم وعبدالله (حيث لقّب عبـدالله بالطّاهر والطّيب)، والبعض الآخر قالـوا أنهم ثلاث أولاد وهم قاسم وعبدالله وطاهر.[٣٠٣]

وبالنسبة الى بنات السيدة خديجةعليها السلام – فيما عدا فاطمة سلام الله عليها – هناك ثلاث أقوال وردت في ذلك:

١ – أم كلثوم، زينب ورقيّة هن بنات الرسـول صلى الله عليه وآله من خديجةعليها السلام، وبإضافة الزهراء سلام الله عليها يصبح عددهن أربع بنات، مثلما تدل رواية الشيخ الصدوق في كتاب الخصال (والتي ذكرناها من قبل) وروايات أخرى على ذلك المطلب.

٢– أمّ كـلـثـوم وأخـتـهـا زينـب ورقيّة عليهن السـلام هـن بـنات خديجة عليها السـلام من زوجيهـا السـابقين ولأنهن كن تحـت كـفـالـة النبي صلى الله عليه وآله بعـد زواجه بخديجةعليها السلام، فتـم تعريفهن ببنات النبي صلى الله عليه وآله.

٣– أم كلثوم وأختيها زينب ورقيّة كن بنات «هالة» أخت خديجةعليها السلام، ومع هذا التوضيح: بأن زوج هالة كان رجل من قبيلة المخزوم، ورزقها الله عزّ وجلّ بزينب ورقيّة، ثم توفى زوجها، فأصبحت هالة حائرة فيمن يكفل بناتها، فتكفّلت خديجةعليها السلام أختها هالة وبناتها وذلك لأنها كانت ثرية، وبعد زواجها مـن الرسـول صلى الله عليه وآله، أصبحت بنات أختها تلقائياً بنات النبي صلى الله عليه وآله، كـما ذكر هذا المطلب اليعقوبي في تاريخه (الجزء الثاني، ص١٦).[٣٠٤]

وأيضـا يجـب التوجه الى أن كان لخديجةعليها السلام من زوجيها السـابقين أولاد، كان لها من زوجها الأول والذي يسمى بعتيق، بنت وتسمى هند، وكان لها من زوجها الثاني والذي يسمى بنبّاش بن زرارة (أو زرارة بن نباش، أو هند بن زرارة) ولدان هما: هالة وهند كما ذكرنا في بداية الفصل الأول.

وبناءاً على ذلك كان لخديجةعليها السلام إجمالاً تسعة أو عشرة أبناء.

والمطلب الآخر هو أن هل كان لخديجةعليها السلام أزواج قبل زواجها بالرسول صلى الله عليه وآله؟

جـاءت أحاديث مختلفـة في ذلك، وروايات متعـددة تبين أنه كان لخديجةعليها السلام زوجـان قبل زواجها بالرسـول صلى الله عليه وآله كـما هو معروف ومشـهور بأن: كانـت خديجةعليها السلام قبـل زواجها بالنبي صلى الله عليه وآله عنـد عتيق بن عائـذ المخزومـي، وبعد وفاته تزوجت بأبي هالة[٣٠٥] زرارة بن نباش الأسـيدي، وبعـد وفاته تزوجت بالرسول صلى الله عليه وآله.

ولكـن روى العلماء والمحدّثـون المعروفون والكبار لأهل السـنّة والتشـيّع كأحمد البـلاذري وأبو القاسـم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشـافي وأبو جعفر في التلخيص أن النبيﷺ تزوج بها وكانت عذراء.[٣٠٦]

يقـول العلامـة المجلسي بعد نقله لذلك المطلب: يؤكّد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع أن رقيّة وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجةعليها السلام.[٣٠٧]

كما جاء في كتاب «الاستغاثة» بعد ذكر ذلك المطلب: نُسبت زينب ورقيّة الى السيدة خديجةعليها السلام لعلوّ درجتها وشأنها وقلّة ذكر هالة.[٣٠٨]

النتيجـة

هنـاك روايـات مختلفـة ومتعددة، ولا نسـتطيع أن نقول بصـورة قاطعة أن: زينـب ورقيّة هما بنات الرسـولﷺ، وإذا لم يكونا ابنتا الرسـولﷺ فإن ذلك سـيحل بعض المشـاكل التي وردت بخصوص زواجهما بأفراد غير لائقة.

وعلى كل حال كانت السـيدة خديجةعليها السلام في هذا المجال سـيدة مباركة، ورزقت للرسـولﷺ أولاد كثـيرة، حيث أحدهم هي السـيدة الزهراء (س) والتي هي سـيدة نسـاء العالمـين، وكان لها اللياقة لأن تكون أمّ الأئمة المعصومينعليهم السلام، وأيضا خديجةعليها السلام هي أم ومنشأ هذه اللياقة وُجدت فيها السعة لكي يظهر من نسلها فاطمة (س) والأئمة الإحدى عشر المعصومينعليهم السلام.

نظرة أخرى لأولاد النبيﷺ وخديجةعليها السلام

وأخيراً ألّف المحقق العالم اللبناني، جعفر مرتضى العاملي كتاب يسمى «بنات النبي أم ربائبه؟»[٣٠٩] وهـو كتاب مسـتند وتحليلي وشـيّق، واسـتنتج في هذا الكتاب مـن بعض الروايـات المختلفة من كتب الشّيعة والسّنة وبعد تحقيقات كثيرة الآتي:

١- نسـتنتج من التحقيقات أن: زواج رقيّة وأمّ كلثوم من اولاد أبي لهب، ثم عثمان هي من الأمور الواهية وليست ثابتة وغير مؤكّدة، وبالنسبة لعثمان هناك تشابه بالأسماء مما أدّى الى هذه المغالطة.[٣١٠]

٢- هنـاك شـواهد متعددة تدلّ على أن السـيدة خديجةعليها السلام لم تكن متزوجة قبل الرسـولﷺ، وأنها كانت عذراء قبل الزواج بالنبيﷺ[٣١١]، ونقل عن العلامة السروي (ابن شـهر آشـوب) بأنه كتب: إن النبيﷺ قد تزوّج خديجةعليها السلام وهي عذراء.

كما أكّد كتابي «الأنوار والبدع» هذا المطلب حيث نقلا أن:

رقيّة وزينب هما ابنتا هالة أخت خديجةعليها السلام.[٣١٢]

حديث قصير

إن الاختلافات في الروايات كثيرة في هذا الموضوع، حيث يقول العلامـــة المامقاني والذي له علم في علم الرّجال، بعد الحديث عن ذلك وفي آخره: والعلم عند الله تعالى.[٣١٣]

مـن إحـدى الأمـور التي تؤكّد المطلب السـابق حديث نقل عن الرسـولصلى الله عليه وآله حيث قـال لعليّ عليه السـلام: يا عليُّ أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحدٌ ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي، ولم أؤت أنا مثلي، أوتيت ابنتي الصّدّيقة زوجةً، ولم أؤت أنا مثلها، أوتيت الحسـن والحسـين ولم أؤت أنا مثلهما، ولكن أنت منّي وأنا منك.[٣١٤]

نفهـم مـن هـذه الروايـة وبالتوجـه الى الميـزة الأولى بأنـه كان للرسـولصلى الله عليه وآله صهـراً واحـد ألا وهو عليّعليه السلام.

البعـض يـصر عـلى أن أم كلثـوم ورقيّة هما بنـات النبيصلى الله عليه وآله وزوجـات عثمان حتى يقلّلوا من شـأن ومنزلـة عـليّعليه السلام، فيذكرونه «بذي النّورين» (أي زوج النّوريـن أمّ كلثوم ورقيّة)، ولكن بالرغم من أن السـيدة فاطمة الزهراء سـلام الله عليها كانت معروفة عند الجميع بأنها أفضل نسـاء العالمين، وكانت زوجة عليّعليه السلام إلا أنه لم يلقّب بأمثال ذلك اللقب.[٣١٥]

الاجابة على سؤالين

وهنا يطرح سـؤالان، الأول هو أنه اذا لم يكن للرسـولصلى الله عليه وآله بنات، حتّى نقول أنهما تزوجا أولاد أبي لهب ثم عثمان، اذن لماذا جاء في القرآن الحديث عن بنات الرسولصلى الله عليه وآله حيث نقرأ:

«يا أيُّها النّبيُّ قل لأزواجك وبناتك».[٣١٦]

وأيضا جاء في الحديث عن بنات الرسولصلى الله عليه وآله في بعض الأدعية أو الروايات وكمثال جاء في إحدى أدعية شهر رمضان:

«اللهم صلّ على رقيّة وأمّ كلثوم ابنتي نبيّك...».

وللإجابـة على السـؤالين نقول كـما أشرنا إليه من قبل أن: هذه السـيدتين هما بنـات «هالة»، أخت خديجـةعليها السلام، وبعـد وفاة أبيهما، تكفّلتهـما خديجةعليها السلام وبعد زواجها من الرسـولصلى الله عليه وآله تكفّلهـما النّبيّصلى الله عليه وآله، فسُمّين ببنات النّبيّصلى الله عليه وآله، وأسلمن وهاجرن الى المدينة و...

وبنـاءاً عـلى ذلـك فـما المانع مـن أن يكون المقصـود من بنـات النّبـيّصلى الله عليه وآله في الدعاء المذكـور ربائب

النّبيّ صلى الله عليه وآله.

أو أن يكـون المقصـود مـن تلك الآية المذكـورة (آية المباهلـة[٣١٧]) فاطمة الزهراء سـلام الله عليها لوحدها!.[٣١٨]

تصبّر الرسول صلى الله عليه وآله لخديجة عليها السلام في وفاة ابنيها

كما ذكرنا من قبل، وبناءاً على القول المعروف، أنه كان لخديجة عليها السلام من الرسـول صلى الله عليه وآله ولدان هما قاسـم وعبدالله، ولأن عبدالله ولد بعد البعثة فقد سمّي بالطّاهر والطّيب.

وبالنسـبة لوقـت وفاة هذيـن الولدين، جاءت مطالب متعـددة ومختلفة في ذلك، قـال البعض: أن قاسم توفي بعد أربع سنين، وعبد الله توفى بعده بشهر.[٣١٩]

وعلى حسـب قول البعض الآخر أن قاسـم وعبد الله توفّيا في سـن السـبع سـنوات، وتوفّى عبد الله في السّـنة الأولى مـن البعثـة[٣٢٠] والبعـض يقول أنّ قاسـم توفّى عندما مشـى وكان عمره سـنتان[٣٢١] واختلفـت الأقـوال في أنّ هل توفّى الولدين قبـل البعثة أم بعد البعثة، ولكن الشـواهد والقرائن تؤكّد أنهما توفّيا بعد البعثة.

وهنا نلفت نظركم الى بعض الروايات التي جاءت في وفاة ابني الرسول صلى الله عليه وآله:

١- مـن إحـدى المصائـب المؤلمة التي مرّت عـلى خديجة عليها السلام في حياتها هي وفاة ولديها وهما في سـن الطّفولة، دخل ذات يوم رسـول الله صلى الله عليه وآله على خديجة عليها السلام بعد موت القاسـم إبنهـا وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟

فقالت: درّت دريرة فبكيت.

فقال: يا خديجة أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجئ إلى باب الجنة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة، وينزلك أفضلها؟ وذلك لكل مؤمن، إنّ الله عزّ وجلّ أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده ثم يعذبه بعدها أبدا.[٣٢٢]

٢- وأيضـا نقـل عن الرسـول صلى الله عليه وآله أنه: عندمـا توفى طاهر (عبدالله) ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله نهى رسـول الله صلى الله عليه وآله خديجة عن البكاء، فقالت: بلى يا رسول الله، ولكن درّت عليه الدريرة فبكيت.

فقـال لهـا: أما ترضـين أن تجديه قائما على باب الجنـة، فإذا رآك أخذ بيدك فأدخلـك أطهرها مكانا، وأطيبها؟

قالت: وإن ذلك كذلك؟

قـال: فـإن الله أعز وأكرم من أن يسـلب عبداً ثمرة فؤاده فيصبر ويحتسـب ويحمـد الله عزّ وجلّ ثم

يعذبه.[٣٢٣]

٣- نقـل اليعقوبي في تاريخه أنه: توفي القاسـم ابن رسـول الله، فقال الرسـولصلى الله عليه وآله وهـو في جنازته، ونظر إلى جبل من جبال مكة: يا جبل لو أنّ ما بي بك لهدّك.

وكان للقاسـم يوم توفي أربع سـنين، ثم توفي عبدالله ابن رسـول الله بعده بشـهر، ولم يفطم، فقالت خديجة: يا رسول الله لو بقي حتى أفطمه!

قال: فإن فطامه في الجنة.

وسألت خديجة رسول الله فقالت: أين أولادي منك؟

قال: في الجنة.

قالت: بغير عمل؟

قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.[٣٢٤]

٤- ويروي السهيلي في كتابه: دخل رسول اللهصلى الله عليه وآله على خديجةعليها السلام - بعد موت القاسم، وهي تبكي، فقالت: يا رسول الله درّت لُبينة القاسم فلو كان عاش حتّى يستكمل رضاعة لهوّن عليّ.

فقال: إنّ له مرضعاً في الجنّة مستكمل رضاعته.

فقالت: لو أعلم ذلك لهون عليّ.

فقال: إن شئت أسمعنك صوته في الجنّة. فقالت: بل أصدق الله ورسوله.[٣٢٥]

وبهـذا الترتيـب كان الرسـولصلى الله عليه وآله شريـك غمـوم وهمـوم خديجـةعليها السلام، وكان يصبّرهـا في المصائب والآلام، ويسكّن قلبها الحزين بذكر الجزاء العظيم في الآخرة.

ويجب التوجه الى أن: قول خديجةعليها السلام: «درّت عليها الدّريرة...» يدل على أن قاسـم وعبد الله توفيا وهما في سن الرّضاعة، وبناءاً على ذلك فإن قول البعض بأنهما توفيا في سنّ الرّضاعة هو الأصح.

وكما قال البعض بصورة عامة عن وفاة أولاد الرسولصلى الله عليه وآله:

«ماتوا صغاراً جدّاً».[٣٢٦]

خديجةعليها السلام في فراش الموت

سنة و شهر ويوم وفاة خديجةعليها السلام

كما ذكرنا من قبل، أن السيدة خديجةعليها السلام كانت مع الرسولصلى الله عليه وآله وبني هاشم في محاصرة اقتصادية شديدة في شعب أبيطالب في حدود ثلاث سنوات أو أربع سنوات وذلك لرغبتها في الاسلام ومقاومتها في هذا السبيل ومع التوجه الى أن عمرها كان بين ٦٣ الى ٦٥ سنة، أي كانت في سن الشيخوخة، إن الضغوط الشديدة جداً والمختلفة والجسميّة والروحيّة التي كان المحاصرون يواجهونها في المحاصرة حقّاً لهي صعبة عليهم وخاصةً على الشيوخ والعجائز كأبي طالب والد عليّعليه السلام القدير وخديجةعليها السلام.

ايثارهم ومقاومتهم هي التي جعلتهم يعيشون وإلا فإن الظروف الصعبة التي أحاطت بهم في المحاصرة لهي نوع من التعذيب والموت البطيء والتدريجي، والقضاء عليهم.

ومن هذا المنطلق وطبقاً للروايات، لمّا أعلن المشركون فكّ الحصار على المسلمين، وبعد التحرير لم يمض وقت قصير حتّى رقد أبو طالب وخديجةعليها السلام في فراش الموت بفارق عدّة أيّام، وبعد مدّة قصيرة توفّيا، وفي الحقيقة فقد استشهدا.

طبقاً لبعض الروايات، أن أبا طالب توفى بعد شهرين من خروجه من الشعب، وبعده بثلاثة أيام توفيت أيضا خديجةعليها السلام.

وطبقاً لنقلٍ آخر أنّ الفرق بين وفاة أبي طالب وخديجةعليها السلام كان شهر وخمسة أيام أو شهر أو ستة أشهر.[٣٢٧]

وفي الكتاب النفيس الغدير جاء بالنقل عن مصادر متعددة: توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نبّيء رسول اللهصلى الله عليه وآله، وتوفّيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيّام فاجتمعت على رسول اللهصلى الله عليه وآله عليها وعلى عمّه حزناً شديداً حتّى سمّي ذلك العام «عام الحزن».[٣٢٨]

ينقل ابن أبي الحديد العالم السّـنّي المعروف ويقول أنّه توفّي أبو طالب في بداية السـنة الحادية عشرة للبعثة.[٣٢٩]

يقول العلامة سروي في المناقب: توّفي أبو طالب بعد نبوّته بتسع سنين وثمانية أشهر.

وينقل المحدّث الراوندي: إنّ أبا طالب رضي الله عنه توفّى في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم توفّيت خديجةعليها السلام بعد أبي طالب بثلاثة أيّام.[٣٣٠]

لـما رقدت خديجةعليها السلام في فراش الموت، كان الرسـول صلى الله عليه وآله وأبناءه يزورونها دائـماً ويراعونها ويعتنون ويهتمون بها و يمرّضونها، وحصلت حوادث في هذه المدّة حيث نلفت نظركم الى بعض الروايات التي حصلنا عليها:

تصبّر الرسول صلى الله عليه وآله لخديجةعليها السلام في مرضها

نقـل معـاذ بن جبل وقال: لما مرضت مرضها الذي توفيت فيه دخل عليها رسـول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: أكـره ما نزل بك يا خديجة، وقـد جعل الله في الكره خيراً كثيراً، فإذا قدمت على ضرائرك فاقرأهنّ منّي السّلام.

قالت خديجةعليها السلام: يا رسول الله! ومن هنّ ضرائري؟

قال الرسول صلى الله عليه وآله: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وكليمة (كلثم) أخت موسى.

قالت: بالرّفاء والبنين يا رسول الله.[٣٣١]

وفي إحدى المرّات قال الرسول صلى الله عليه وآله لخديجةعليها السلام: أما علمت أنّ الله قد زوّجني معك في الجنّة؟![٣٣٢]

وصيّة خديجةعليها السلام في ليلة زفاف الزهراء (س)

وعـن أسـماء بنت يزيـد بـن سـكن[٣٣٣](وكانت تلقّب بأم سـلمة، وكانـت زوجة الرسـول صلى الله عليه وآله): حـضرت وفـاة خديجةعليها السلام فبكـت، فقلت: أتبكين وأنت سـيّدة نسـاء العالمين، وأنت زوجـة النّبي صلى الله عليه وآله مبشّرة على لسانه بالجنّة.

فقالـت: ما لهـذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لابد لها من امرأة تفضي إليها بسرّها، وتسـتعين بها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصبى وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها.

حينئذ فقلت: يا سيدتي لك علي عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الامر.

فلما كانت تلك الليلة (في السنة الثانية للهجرة، بعد مدّة قصيرة من غزوة بدر) وجاء النبي صلى الله عليه وآله، أمر النساء فخرجن وبقيت، فلما أراد الخروج رأى سوادي فقال: من أنت؟

فقلت: أسماء.

فقال: ألم آمرك أن تخرجي؟

فقلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأم، وما قصدت خلافك، ولكني أعطيت خديجة عهدا - وحدّثته - فبكى، فقال: بالله لهذا وقفت؟ فقلت: نعم والله، فدعا لي.(٣٣٤)

خوف خديجة عليها السلام من الموت

بالرغم من أن خديجة عليها السلام كانت في غاية الايثار و التضحية للاسلام، ودائماً كان الرسول صلى الله عليه وآله يبشّرها بالجنّة إلا أنّها كانت خائفة من الله سبحانه وتعالى عند موتها، وترى نفسها عبداً ذليلاً حقيراً وتطلب من الله أن يبشّرها في عالم القبر والبرزخ، وكانت تطلب من الرسول صلى الله عليه وآله الدّعاء والمغفرة، وتطلب منه أن يشملها لطفه وعطفه الخاص عند دفنها في القبر، حتّى يشملها الله برحمته وغفرانه.

كان عمر فاطمة سلام الله عليها آنذاك خمس سنوات، وكأن خديجة عليها السلام استحيت من الرسول صلى الله عليه وآله في طلبها فتوسطت بفاطمة عليها السلام وقالت لها: ابنتي! اذهبي عند والدك، واطلبي منه أن يكفّنني بكفن من لباسه.(٣٣٥)

فتوسطت فاطمة ونالت خديجة عليها السلام برغبتها، وكان طلبها هذا حتّى يشملها أنوار الرحمة الالهية وتفرح في عالم البرزخ ويوم القيامة.

وفاة السيدة خديجة عليها السلام

وطبقاً للنقل المعروف، أن خديجة عليها السلام توفّيت في اليوم العاشر من شهر رمضان للسنة العاشرة للبعثة، وفي هذه السنة توفّى رفيقين وحبيبين من الأحبّاء الأوفياء والمخلصين لرسول الله صلى الله عليه وآله بفارق بسيط في الزمن وهما أبو طالب عليه السلام وخديجة عليها السلام.

حزن الرسول صلى الله عليه وآله حزناً شديداً عليهما وسمّي ذلك العام بعام الحزن.

يقول العلامة الطبرسي: ورد على رسول الله صلى الله عليه وآله أمران عظيمان وجزع جزعاً شديداً.(٣٣٦)

وينقل العلامة المجلسي: فلزم بيته وأقلّ الخروج.(٣٣٧)

تصبّر الله تعالى الزهراء (س) في وفاة والدتها

عن الصادق عليه السلام قال: لما توفيت خديجة رضي الله عنها جعلت فاطمة عليها السلام تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وتدور حوله، وتقول: أبه أين أمي؟(٣٣٨)

قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له: ربك يأمرك أن تقرأ فاطمة السلام وتقول لها: إن أمك في بيتٍ من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران.

فقالت فاطمة عليها السلام: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام.(٣٣٩)

جاء في نقلٍ آخر: أنّ فاطمة سلام الله عليها قالت للرسول صلى الله عليه وآله: أين أمّي؟

قال الرسول صلى الله عليه وآله: في بيتٍ من قصبٍ عند مريم وآسية(ع).

فسألت فاطمة سلام الله عليها: هل تقصد بالقصب هذه الأعواد؟

فقال الرسول صلى الله عليه وآله: لا، بل هو بيتٌ من الجوهر واللؤلؤ والياقوت.(٣٤٠)

نزول الكفن من عند الله لخديجة عليها السلام

نقل في كتاب «الخصائص الفاطمية»: طبقاً للرواية المشهورة أنه عندما توفّيت السيدة خديجة عليها السلام، نزلت ملائكة الرحمة بكفن خاص من عند الله عزّ وجلّ لخديجة عليها السلام الى الرسول صلى الله عليه وآله، وكان ذلك بركة للسيدة خديجة عليها السلام وسكينة للرسول صلى الله عليه وآله، وبهذا العمل جلّلها الله سبحانه وتعالى وقدّرها.

فألبسها الرسول صلى الله عليه وآله بذاك الكفن، ثم أخذ الجنازة مع أصحابه الى مقبرة المُعلّى التّي تقع عند جبل حجون في أعلى مكّة، حتّى تدفن بجانب قبر والدته السيدة آمنة عليها السلام(٣٤١)، فحفروا قبراً للسيدة خديجة عليها السلام ونزل بها الرسول صلى الله عليه وآله ودفنها هناك.(٣٤٢)

يقول العلامة المجلسي في بحار الأنوار والآخرين: ولم يكن يومئذٍ صلاة على الجنازة، فلم يصلّي عليها صلاة الميت، ونزل بها في القبر ودفنها.(٣٤٣)

حزن النّبيّ صلى الله عليه وآله في فراق خديجة عليها السلام

كما قلنا سابقاً أن النّبيّ صلى الله عليه وآله حزن حزناً شديداً في فراق السيدة خديجة عليها السلام، لأنها كانت المؤنسة والصاحبة والمخلصة وشريكة هموم النّبيّ صلى الله عليه وآله طوال خمسة وعشرين سنة ليلاً ونهاراً.

ومن جانبٍ آخر كانت هناك أشخاص لا يؤذون النّبي صلى الله عليه وآله بسبب خديجة عليها السلام وأبو طالب عليه السلام، ولكن بعد وفاتها بدؤوا بإيذائهم للنّبي صلى الله عليه وآله.

حقّاً، في أيّة حالة كان الرسول صلى الله عليه وآله بعد رجوعه من المقبرة الى الدار وبعد رؤيته لفاطمة عليها السلام والتي كانت صغيرة السن آنذاك، وكيف كان يستطيع أن يرى مكانها الخالي من بعد خمسة وعشرين عاما من الايثار والمقاومة؟

إن عظمة هذه المصيبة والفاجعة على رسول الله صلى الله عليه وآله لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

ويمكن القول أنه لم تمر على حياة النبي صلى الله عليه وآله مصيبة وحادثة مرّة أعظم من مصيبة وفاة السيدة خديجة عليها السلام ورحيلها، لأن وجودها كان عامل مهم في بناء الحياة النورانية للرسول صلى الله عليه وآله وتقدّم الاسلام في السنوات الأولى من البعثة، لو لم يكن لوجودها بجانب النبي صلى الله عليه وآله هذا التأثير العظيم، لما تأثّر الرسول صلى الله عليه وآله جداً من فراقها وفقدانها، ولما سمّى ذلك العام بعام الحزن.

وكما أشرنا سابقاً، أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان دائماً يذكرها ولسنوات طوال من بعد رحيلها، ويذكر دورها في تقدّم الاسلام، ويبكي في مماتها وعندما يتذكّرها، فعلى ماذا يدل كل هذا التّأثر والتذكّر؟!

كان دفاعها عن الاسلام ونصرتها لمحمّد صلى الله عليه وآله من إحدى العوامل المهمة لثبات الاسلام وانتشاره فقد كانت أول امرأة أسلمت، وكان ايثارها ومقاومتها كسيف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في انتشار الاسلام.

فكيف ينسى الرسول صلى الله عليه وآله كل هذه التضحيات ويتلقّى وفاتها كأي حادثة عادية تمر في حياته؟!...

حزن الرسول صلى الله عليه وآله على فراق خديجة عليها السلام يدل ويبيّن مدى عظمتها وايثارها وتضحياتها ومقاومتها في سبيل الاسلام لأن وفاتها هدّ عمود ثابت ومحكم لإحدى أعمدة الاسلام، وأيضا وفاة أبو طالب قبل وفاتها بأيّام كانت فاجعة كبيرة على الرسول صلى الله عليه وآله.

لذلك، بعد فقدان الرسول صلى الله عليه وآله لهذين الصاحبين الذين كانا ذا ثبات وصلابة، لم يكن يستطيع الاستمرار في حياته في مكّة، لهذا السبب هاجر الى المدينة.

كل ما نقول ونتحدّث عن هذا الموضوع فلن نستطيع أن نصوّر عشر المصيبة، فكيف يمكن أن نصوّر حزن الرسول صلى الله عليه وآله الشديد والعميق على فراقه خديجة عليها السلام باللسان والقلم؟

هل يمكن أن تأخذ الماء بكأس عادي من البحر؟

احيرة النبي صلى الله عليه وآله في فراق أبي طالب عليه السلام وخديجة عليها السلام

لما هلك أبو طالب عليه السلام وخديجة عليها السلام نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب عليه السلام، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله التراب.

عادةً عندما تحصل حوادث كهذه للرسول صلى الله عليه وآله، كان يرجع الى البيت وتقوم خديجة عليها السلام بكل حب وعطف وتمسح عن وجهه الشريف التراب وتضع مرهم على جروحه وتواسيه وتصبّره، ولكنه الآن عاد الى الدّار وخديجة عليها السلام غير موجودة، فأين خديجة عليها السلام العطوفة والحنونة لتمسح التراب من على وجهه الكريم والمبارك!!..

لكنه لا يجدها ويرى مكانها خالى، حقاً أيّة مصيبةٍ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأصبح مكسور الخاطر وروحه معذّبة...

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته (من المحتمل أن تكون فاطمة سلام الله عليها)، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك.[٣٤٤]

نعم، كان فراق خديجةعليها السلام مؤلماً جداً على الرسول صلى الله عليه وآله لأنه دائماً كان يذكرها، وكان بدموعه وإبراز أحاسيسه يقدّر حبّها وعطفها عليه.

عزاء عليّعليه السلام في وفاة أبي طالب و خديجةعليها السلام

وأنشد عليّعليه السلام الأبيات التالية في مصيبة رحيل أبي طالبعليه السلام وخديجةعليها السلام:

أعيـنـيّ جـودا بـارك الله فيكـما
على هالكين لا ترى لهما مثلاً
على سيد البطحاء وابن رئيسها
وسيّدة النّسوان أوّل من صلى
مهذّبة قد طيّب الله خيمها
مباركة والله ساق لها الفضلا
فبتُّ أقاسي الهمّ والثّكلا
مصابهما أدحى إلى الجود الهوا
لقد نصرا في الله دين محمدٍ
على من بغى في الدّين قد رعيا ألا

بكاء ومناجاة الامام الحسينعليه السلام بجانب قبر خديجةعليها السلام

حج واعتمر الامام الحسينعليه السلام خمسة وعشرين مرة مشياً على الأقدام من المدينة الى مكّة، روى أنّه ذات يوم ساير أنس بن مالك فأتى قبر خديجةعليها السلام فبكى ثم قال: اذهب عني.

قال أنس: فاستخفيت عنه فلما طال وقوفه في الصلاة سمعته قائلا:

يا ربّ يا ربّ أنت مولاه
فارحم عبيداً إليك ملجاه
يا ذا المعالي عليك معتمدي

الهوامش

اختيار النموذج المثالي والصادق

(١) سـورة التحريم: ٩-١١، ذكرنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب روايات متعددة حيث جاء ذكر السـيدة خديجة عليها السلام في صف السيدة آسية عليها السلام والسيدة مريم عليها السلام، لذلك فهي قدوة كآسية ومريم عليهما السلام.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) الطّراز المذهّب: ج ١، ص ٤٤ - رياحين الشريعة: ج ٣، ص ٣٨.

(٤) العهد العتيق: مكاشفة يوحنا، باب ٢٣، ونقلا عن حياة السيدة فاطمة الزهراء (س) لعمادزاده: ص٢٦.

(٥) نساء محمد صلى الله عليه وآله: ص ٣٨.

(٦) خديجة عليها السلام لعلى محمد دُخيّل: ص ٣٢.

الفصل الاول

(٧) البحار: ج١٦، ص ١٢و ١٣.

(٨) البحار: ج١٦، ص٧٥ و ٥٦.

(٩) البحار: ج ٢٤، ص ٣١٦.

(١٠) تنقيح المقال للمامقاني: ج٣، باب الخاء من فصل النساء، ص ٧٧.

(١١) سيرة ابن هشام: ج١، ص ٢٠١.

(١٢) اقتباسا عن المصدر السابق ومن منتخب التواريخ: ص ٨٢.

(١٣) عـرّف أغلـب المحدّثـين (من جملتهم البحار) ورقة بـن نوفل بأنه عم خديجة عليها السلام، ولكن عـلى الظاهر هو ابن عمها مثلما جاء ذكره في سيرة ابن هشام بأنه ابن عم خديجة عليها السلام وسلسة نسبه هي: «ورقـة بن نوْفل بن أسـد بن عبد العزّى...» (سـيرة ابن هشـام: ج١، ص ٢٠٣)، من المحتمل أنه اسـتخدم لفظة العم بسـبب تكفّله

لخديجةعليها السلام.

(١٤) سيرة ابن هشام: ج١، ص ٢٠٣.

(١٥) سيرة ابن هشام: ج١، ص ١٤١ و ١٤٢.

(١٦) الرّوض الانف: ج١، ص٢١٣.

(١٧) كتب البعض بأنه «نباش بن زرارة» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥، ص٣١) والبعض الآخر كتب بأنه «هند بن زرارة» (كشف الغمّة، ج٢، ص٧٢).

(١٨) طبقا للروايات كانت هاله أخت السيدة خديجةعليها السلام، وأن رقيّة وزينب كانتا ابنتا هالة وليست خديجةعليها السلام (تنقيح المقال:ج٣،ص٧٧) وأيضا جاء في الرواية التي نقلت عن عمّار: أنه رأى هالة مع أختها خديجةعليها السلام في طريق الصفا والمروة، وأن هالة توسطت عند عمّار حتى يقوم بتجهيز محمدصلى الله عليه وآله للزواج بخديجةعليها السلام، فجهّز عمّار مقدّمات الزواج (التاريخ اليعقوبي:ج٢، ص ١٦)، وبالنسبة لموضوع أبناء خديجةعليها السلام سنتطرق اليه في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(١٩) البحار، ج١٦، ص ١٤٨.

(٢٠) سفينة البحار: ج٢، ص ٧٢٥ (كلمة هند).

(٢١) أسد الغابة: ج٥، ص ٧١ - تنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٥.

(٢٢) البحار: ج١٦، ص ١٤٨ - أسد الغابة: ج٥، ص ٧٢.

(٢٣) بنات النّبي لجعفر مرتضى العاملي: ص ٩٣.

(٢٤) كحل البصر للمحدّث القمّي طبعة بيروت: ص ٧٠ - البحار: ج٢١، ص ٣٥٢.

(٢٥) البحار: ج١٨، ص ٢٢٨.

(٢٦) تنقيح المقال: ج٣، ص٧٧.

(٢٧) رياحين الشريعة: ج٢، ص٢٠٧.

(٢٨) قاموس دهخدا: ج٢١، ص٣٠٠.

(٢٩) عمدة ابن بطريق: ص ٢٠٤.

(٣٠) البحار: ج ١٦، ص ٦٩.

(٣١) البحار: ج١٦، ص ٩ و ١٠.

(٣٢) مقتبس من رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٠٧.

(٣٣) رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٠٧، هنالك نماذج أخرى من تلك الاشعار ذكرت في البحار: ج١٦، ص٢٥ و ٢٨ و ٢٩.

(٣٤) البحار: ج١٩، ص ٦٣.

(٣٥) على فرض أنها كانت متزوجة قبل الرسولصلى الله عليه وآله.

(٣٦) الوقائع والحوادث (رمضان): ج١، ص ١٣٠.

(٣٧) البحار: ج١٦، ص ٢٢، ولا ننسى القول بأنه لم يكن الهدف من تجارة السيدة خديجة‌عليها السلام ثروة بلا نهاية بل كان هدفها مساعدة المحتاجين واليتامى على القدر المستطاع، حتى لُقّبت بـ «أم الصعاليك» و «أم اليتامى» وأخيرا (كما سنذكر لاحقا) صرفت كل أموالها في سبيل الاسلام.

(٣٨) البحار: ج١٦، ص ٢٠ و ٢١.

(٣٩) البحار: ج١٦، ص ٢٠ و ٢١.

(٤٠) فحصبنه: أي فرمينه بالحصباء.

(٤١) مناقب آل أبيطالب: ج١، ص ٤١.

(٤٢) جوامع الحكايات لمحمد العوفي وبتحقيق الدكتور جعفر الشعار: ص ٣٦ - تحقق تفسير المنام ورزق محمد‌صلى الله عليه وآله من خديجة‌عليها السلام سبعة أبناء (ثلاثة أولاد و أربعة بنات) هم: قاسم، طيّب، طاهر، زينب، رقيّة، أم كلثوم وفاطمة سلام الله عليها (نفس المصدر، ص ٣٨).

(٤٣) المجالس السنية للعلامة سيد محسن أمين: ج٥، ص ٦.

(٤٤) جاء طبقا لجزء من الروايات أن الرسول‌صلى الله عليه وآله كان أجيرا عند خديجة‌عليها السلام في هذه السفرة، ولكن جاء في التاريخ اليعقوبي (ج٢،ص ٢١) وفي البداية والنهاية (ص ٢٩٥) أن الرسول‌صلى الله عليه وآله لم يكن أبدا أجيرا لأحد، لذلك فإن سفره مع هذه القافلة كانت مضاربة أو شريكا في الربح التجاري.

(٤٥) كان عمر الرسول‌صلى الله عليه وآله آنذاك خمسة وعشرين سنة تقريبا ووقعت هذه الحادثة قبل خمسة عشرة سنة من البعثة.

(٤٦) الهاجرة: نصف النهار في القيظ، أو من عند زوال الشمس الى العصر.

(٤٧) سطتك: شرفك وسامي منزلتك.

(٤٨) سيرة ابن هشام، ج١، ص ١٢١.

(٤٩) جاء في نقل آخر: أنها أرسلت النبي‌صلى الله عليه وآله مع ميسرة وناصح وشخص آخر يسمى «خزيمة بن حكيم»، وقالت لهم: إن هذا الفتى سيد قريش والحرم، فأطيعوه واحترموه.

(٥٠) اقتباسا عن سيرة ابن هشام، ج١، ص ١٩٩.

جاء في نقل آخر أنه لما رأى نسطور محمد‌صلى الله عليه وآله جالسا تحت الشجرة وبعد مشاهدته لعلاماته، ذهب الى الرسول‌صلى الله عليه وآله وقبّل يديه ورجليه وقال: أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله.

(٥١) مناقب آل أبيطالب، ج١، ص ٤١.

(٥٢) الخرائج راوندي، ص ١٨٦ و ١٨٧.

(٥٣) يجب أن نتوجه الى أن هذا العشق لم يكن مجازي أو من أهواء نفسية بل كان عشقاً ملكوتياً نشأ من أعماق خديجة‌عليها السلام الطاهرة.

(٥٤) الحز: ألم في القلب.

(٥٥) البحار: ج١٦، ص ٢٩.

(٥٦) البحار: ج١٧، ص ٢٣١.
(٥٧) البحار: ج١٦، ص ٥.
(٥٨) البحار: ج١٦، ص ٥١، ٥٢.
(٥٩) اقتباسا عن البحار: ج١٦، ص ٥ (بتلخيص).
(٦٠) اقتباسا عن البحار: ج١٦، ص ٤٩-٥١.
(٦١) اقتباسا عن البحار: ج١٦، ص٥ (بتلخيص)، تزوج الرسولﷺ من بعد خمسة عشرة يوما أو شهرين من تلك السفرة التجارية الى الشام، وكان ذلك خمسة عشرة سنة قبل البعثة.
(٦٢) البحار: ج١٦، ص ٤٩.
(٦٣) اقتباسا عن البحار: ج١٦، ص ٩٠ - ٩١.
(٦٤) البحار: ج٧١، ص ١٩٣.
(٦٥) البحار: ج٢، ص ١٣٠-١٣١.
(٦٦) البحار: ج١٦، ص ٦١، وأيضا جاء نظير هذا المطلب في البحار: ج ٣٥، ص ٩٣.
(٦٧) البحار: ج١٦، ص ٢٣-٢٤.
(٦٨) البحار: ج١٦، ص ٢٤-٢٥.
(٦٩) هذا القول مبني على القول بأن خديجةؑ لم تكن عذراء في هذا الوقت.
(٧٠) اقتباسا عن البحار: ج١٦، ص ٥٣-٥٦.
(٧١) حياة محمدﷺ، تأليف آية الله سيد هاشم الرسولي:ص ٩٧.
(٧٢) كما قلنا سابقاً أن خويلد كان مخالفاً للزواج بسبب فقر محمدﷺ ولكن بعدما شرحت وبيّنت له خديجةؑ عن محمدﷺ قبل خويلد ووافق على الزواج، وبناءاً على بعض الروايات قام خويلد بنفسه على عقد زواج خديجةؑ بمحمدﷺ.(مناقب آل ابيطالب، ج١، ص ٤٢)
(٧٣) اقتباساً عن البحار: ج١٦، ص ٥٧-٥٨.
(٧٤) رياحين الشريعة، ج٢، ص٢٤٦.
(٧٥) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص ٢٠ - يرجّح العالم المحقق هاشم المعروف في كتاب «سيرة الائمة الاثنى عشر» سيرة المصطفى هذه الرواية عن سائر الروايات.
(٧٦) البحار: ج١٦، ص ١٢.
(٧٧) بالتوجه الى أن رضا الوالد لم يكن شرط في الزواج لأن خديجةؑ كانت متزوجة من قبل، بل كان رضاه مطلوب من الناحية الأخلاقية.
(٧٨) البحار: ج١٦، ص ٦٨-٦٩.
(٧٩) البحار: ج١٦، ص ٧٠-٧١.
(٨٠) كما قلنا من أن خويلد والد خديجةؑ كان قد قتل في حرب الفجّار.

(٨١) جـاءت هـذه الخطبـة في شرح نهج البلاغة لابـن أبي الحديـد، ج١٦، ص ٧٠، وفي كتاب مـكارم الاخلاق باختلافٍ بسيط (البحار: ج١٠٣، ص ٢٦٣).

(٨٢) تلجلج أي التردد في الكلام.

(٨٣) البهر أي النفس من الاعياء.

(٨٤) هذا الخطاب يدل على أن الرسولﷺ كان حاضراً في هذا المجلس.

(٨٥) فروع الكافي: ج٥، ص ٣٧٤-٣٧٥، وقد جاء ذكر الخطبة المذكورة باختلافٍ بسيط في مناقب آل أبيطالب، ج١، ص٤٢، وفي البحار: ج١٦، ص ١٩.

يقـول المحـدّث السروي في كتاب المناقب: قبل «عمرو بن أسـد» عم خديجةؑ بالـزواج وأعلنه، ثم يقول: قال خويلد والد خديجةؑ والذي كان حاضراً في المجلس: «زوّجناها ورضينا». (مناقب آل أبيطالب: ج١، ص ٤١ -٤٢)

(٨٦) البحار: ج١٦، ص ١٩.

(٨٧) البحـار: ج١، ص ٤، ومـن المعـروف أن الرسـولﷺ كان عمـره آنذاك ٢٥ سـنة وكان عمـر خديجةؑ ٤٠ سنة.

(٨٨) اقتباسا عن البحار: ج١٦، ص ٧٥-٧٧.

(٨٩) اقتباسا عن البحار: ج١٦، ص ٧٥-٧٦.

(٩٠) البحار: ج٢٠، ص ٢٤٤.

(٩١) أسد الغابة: ج٥، ص ٤٩١.

(٩٢) طبقات ابن سعد: ج٢، ص ٤٦ و ص٩٥.

(٩٣) طبقات ابن سعد: ج٢، ص ٤٦ و ص٩٥.

(٩٤) «...... تؤتي أُكلها كلّ حينٍ بإذن ربّها».(إبراهيم: ٢٥)

(٩٥) هذا القول قولٌ معروف، لكن الروايات مختلفة في ذلك مثلاً:

ان هذا الزواج تم في: ١- سـتة عشرة سـنة قبل البعثة، ٢- عشرين سـنة قبل البعثة، ٣- عشر سـنوات قبل البعثـة، ٤- ثلاث سـنوات قبل البعثة، ونقل البيهقي في كتـاب دلائل الامامة (ج١، ص ٧١) أن خديجةؑ توفت وعمرها خمسـين سـنة، وهذا مطابق للقول الأخـير (وبخصوص هذا الموضـوع راجع كتاب «بنات النبي» تأليف جعفر مرتضى العاملي، ص ٧٣ الى ص ٧٥ والذي نقل من مصادر متعددة).

(٩٦) البحار: ج٩٨، ص ٣٥٧.

(٩٧) البحار: ج ١٥، ص ١١٨.

(٩٨) رياحين الشريعة: ج٢، ص٣٢٧.

(٩٩) البحار: ج١٦، ص ٨١.

(١٠٠) البحار: ج١٦، ص ٨٠.

(١٠١) البحار: ج٢٢، ص ١٩١.
(١٠٢) البحار: ج١٠٣، ص ٣٧٤.
(١٠٣) وسائل الشيعة: ج١٤، ص ١٩-٢٩.
(١٠٤) البحار: ج١٦، ص ٧١.
(١٠٥) البستان للسعدي: الباب ٣ - قضية القناعة.
(١٠٦) السيرة الحلبية: ج١، ص ١٢٣.
(١٠٧) نهج البلاغة: خطبة ١٢٦.
(١٠٨) البحار: ج٢٢، ص ١٩١.
(١٠٩) البحار: ج٢٢، ص ١٩١.
(١١٠) رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٨٢.
(١١١) اقتباسا عن اسد الغابة: ج٥، ص ٤٢٥ - الاصابة: ج٤، ص ٢٦٤.
(١١٢) البحار: ج٢٢، ص ١٩١ و ص٢٠٣.
(١١٣) اقتباسا عن أسد الغابة: ج٥ - الاصابة: ج٤، ص ٢٩٩ - البحار: ج٢٢، ص ٢٠٢.
(١١٤) مناقب آل أبيطالب: ج١، ص٢٢.
(١١٥) أسد الغابة: ج١، ص ١ - رياحين الشريعة، ج٢، ص ٣٤١.
(١١٦) البحار: ج٣٥، ص ٤٣.
(١١٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٣، ص ٢٠٨ - البحار: ج١٧، ص ٣٠٩.
(١١٨) البحار: ج١٧، ص ٣٠٩.
(١١٩) البحار: ج١٨، ص ١٩٦ -١٩٧.
(١٢٠) هذا الغلام هو زيد بن حارثة (الغدير: ج٣، ص ٢٣٨) وقد أسلم ببركة خديجة﴿ع﴾.
(١٢١) البحار: ج١٥، ص ٣٦٣.
(١٢٢) البحار: ج١٦، ص ١١-١٢.

الفصل الثاني

(١٢٣) البحار: ج٤٤، ص٣١٨.
(١٢٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٣، ص ٢٠٨ - البحار: ج١٥، ص ٣٦٣.
(١٢٥) راجع الكتاب النفيس الغدير: ج٣، ص ٢١٨ وحتى ص٢٣٩ بخصوص هذا الموضوع.
(١٢٦) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥٤٨ - البحار: ج١٨، ص ٥٣.

(١٢٧) الغدير: ج٣، ص ٢٢٧.

(١٢٨) البحار: ج١٨، ص٢٢٩.

(١٢٩) أسد الغابة: ج٢، ص٢٢٥ - مجمع البيان: ج٨، ص ٣٣٦ - البحار، ج٢٢، ص ٢١٤.

(١٣٠) الغدير: ج٣، ص ٢٣٨.

(١٣١) تنقيح المقال: ج٢، ص ٤٦٢.

(١٣٢) الاصابة: ج٤، ص ٢٧٥.

(١٣٣) سورة القلم: ١-٥.

(١٣٤) اقتباسا عن البحار: ج ١٦، ص ١٠.

(١٣٥) البحار: ج١٨، ص ١٩٥.

(١٣٦) اقتباسا عن البحار: ج ١٦، ص ١١.

(١٣٧) البحار: ج١٨، ص ١٩٦-١٩٧.

(١٣٨) البحار: ج ١٨، ص ٢٢٨.

(١٣٩) البحار: ج١٦، ص ١٠.

(١٤٠) المنتقى في مولود المصطفى: باب ٢، حوادث السنة الأولى للبعثة - البحار: ج١٨، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(١٤١) البحار: ج١٨، ص ٢٢٨.

(١٤٢) البحار: ج ٦١، ص ٢٢٧.

(١٤٣) جاء نظير هذا المطلب في رواية أخرى ونقل التالي في الجزء الأخير منها: قام ورقة وقبّل رأس رسول الله ﷺ، قم قال: أبشر، إنك النبي الذي بشّر به موسى وعيسى عليهما السلام، وإنك لنبيٌّ مرسل، وسيأمرك الله عن قريب للجهاد، ثم التفت لخديجة عليها السلام وأنشد بالأبيات التالية:

فإن يك حقا يا خديجة فاعلمي
حديثك إيانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما
من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزا لدينه
ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم: فرقة في جنانه
واخرى بأغلال الجحيم تغلل

ونقل أيضا قصيدة طويلة أخرى لورقة في مستدرك الحاكم: ج٢، ص ٦٠٩.

(١٤٤) رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(١٤٥) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٩٢ (الخطبة القاصعة).

(١٤٦) البحار: ج ١٦، ص ٢.

(١٤٧) هذه الرواية معروفة برواية «عُفيف» وهي من الروايات المشهورة والمتواترة.

(١٤٨) الغدير: ج٣، ص٢٢٦، نقلا عن المصادر المتعددة لأهل السنة، منها تاريخ الطبري:ج٢، ص٢١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:ج١٣، ص ٢٢٦، مع ا التوجه الى أن ابن أبي الحديد كتب في نهج البلاغة (ج١٣،ص٢٠٨) أنه: قال أبو طالب: ما أعلمُ على الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

(١٤٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٣، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(١٥٠) البحار: ج٣٨، ص٢٠٢.

(١٥١) البحار: ج٣٨، ص ٢٠٣.

(١٥٢) البحار: ج١٨، ص ٣٧٩ - ٣٨١.

(١٥٣) الشرح في البحار: ج١٨، ص ٣١٩-٣٣١.

(١٥٤) البحار: ج١٨، ص ١٩٦.

(١٥٥) مناقب آل أبيطالب: ج١، ص ٤٤.

(١٥٦) أي لما كان عليّ(ع) في أحد جنبيه بمنزلة جناح واحد فقف بجنبه الآخر ليتمّ جناحاه، ويحتمل التشديد من الصلاة.

(١٥٧) أعيان الشّيعة، طبعة الارشاد: ج٤، ص ١١٩ - البحار، ج٣٥، ص ٣٨.

(١٥٨) البحار: ح١٨، ص ١٨٤.

(١٥٩) الملاحاة: المنازعة، الملاومة.

(١٦٠) الطّرف سيّد بن طاووس: ج٤، ص ٦ - البحار: ج١٨، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(١٦١) كمال الدّين الصدوق: ص ١٩٧.

(١٦٢) البحار: ج١٦، ص ١١.

(١٦٣) سورة الحجر: ٩٤-٩٥، المشهور أن هذه الآية نزلت في بداية السنة الرابعة للبعثة.

(١٦٤) هكذا في النسخة ومصدره، ولعله مصحف حيس، قال الفيروز آبادى: الحيس: الخلط، وتمر يخلط بسمن واقط فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه وربما جعل فيه سويق.

(١٦٥) أى أدخلى أنت بطن الوادى حتى أعلو أنا ظهره.

(١٦٦) الدرنوك والدرنيك: نوع من البسط له خمل.

(١٦٧) طبقاً لرواية أخرى، قال جبرئيل(ع): هذه خديجة قد أتتك معها إناء مغطى فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ‎ﷺ من ربها، ومني السلام......، البحار: ج١٦، ص ٨.

(١٦٨) المنتقى في مولود المصطفى: الباب الرابع - البحار: ج١٨، ص ٢٤١-٢٤٣.

(١٦٩) رفده: أعطاه وأعانه. والكل بفتح الكاف الضعيف الذى لا يقدر شيئا.

(١٧٠) سيرة ابن هشام: ج١، ص ٢٦٣ - البحار: ج٣٥، ص ١١٨- ١١٩.

(١٧١) مناقب آل أبيطالب: ج٢، ص١٧٩-١٨٠.
(١٧٢) نفس المصادر نقلاً عن مصادر أهل السّنة المتعددة.
(١٧٣) فاطمة الزهراء وترٌ في محمدﷺ، ص ١١٢.
(١٧٤) البحار: ج ٣٨، ص ٨٤-٨٥.
(١٧٥) تفسير الفرات: ص ٢٠٦ و ٢٠٧ - البحار: ج ٤٠، ص ٦٥ - ٦٦.
(١٧٦) قال الجزرى في النهاية: في حديث سواد بن قارب: الذعلب الوجناء، الذعلب والذعلبة: الناقة السريعة.
(١٧٧) البحار: ج١٨، ص ٩٨-١٠٠.
(١٧٨) البحار: ج١٨، ص ١٩٢.
(١٧٩) احقاق الحق: ج٤، ص ٦٢ - تاريخ الطّبري: ج٢، ص ١١٧.
(١٨٠) البحار: ج١٧، ص ٢٣١.
(١٨١) الضحى: ٨.
(١٨٢) مناقب آل أبيطالب: ج٣، ص ٣٢١ - البحار: ج٣٥، ص ٤٢٥.
(١٨٣) البحار: ج١٩، ص ٦٣.
(١٨٤) البحار: ج١٩، ص ٦٢-٦٣.
(١٨٥) البحار: ج١٥، ص ٤٠١.
(١٨٦) البحار: ج١٦، ص ٦١.
(١٨٧) البحار: ج١٩، ص ١٦.
(١٨٨) فاطمة الزهراء وتر في محمد لسليمان الكتّاني: ص١١٢.
(١٨٩) اقتباسا عن رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢١١.
(١٩٠) احقاق الحق: ج٦، ص ٥٤-٥٥.
(١٩١) تنقيح المقال: ج٣، فصل النساء، ص ٧٧.
(١٩٢) حالياً تسمى بشعب عليّ‌عليه السلام.
(١٩٣) البحار: ج١٩، ص٢.
(١٩٤) البحار: ج٣٥، ص٩٣ - الائمة الاثنى عشر (هاشم معروف): ج١، ص ١٦١-١٦٢.
(١٩٥) نفس المصدر.
(١٩٦) سيرة ابن هشام: ج١، ص ٣٧٩ - تاريخ الطّبري: ج٢، ص ٧٩.
(١٩٧) البحار: ج٣٥، ص٩٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤، ص ٦٤.
(١٩٨) خديجة الكبرى نموذج لامرأة مسلمة مجاهدة.
(١٩٩) سيرة ابن هشام: ج١، ص٣٣٥ الى ٣٧٧ - البحار: ج١٩، ص ٢ و ١٨ و ١٩ - الغدير: ج٧، ص٣٦٤.
(٢٠٠) البحار: ج١٩، ص١٩ - شرح تنهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤١، ص ٥٩.

(٢٠١) أسد الغابة: ج٥ (شرح حال أبو العاص، قاسم بن ربيع).

الفصل الثالث

(٢٠٢) رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٠٩.

(٢٠٣) جاء في كتاب «التاج الجامع لأصول الصحاح»: ج٣، ص ٣٧٧، «فضل السيدة خديجة بنت خويلد» سبع أحاديث في أفضليّة السيدة خديجةؑ.

(٢٠٤) مستدرك سفينة البحار، العلامة النمازي: ج٢، ص٢١٦.

(٢٠٥) صحيح البخاري: ج٤، ص ١٦٤ – كشف الغمّة: ج٢، ص ٧١.

(٢٠٦) الاستيعاب: ج٢، ص ٧٢٠.

(٢٠٧) البحار: ج١٣، ص١٦٢ وج١٦، ص٢ – في بعض الروايات جاءت هذه العبارة: أفضل نساء أهل الجنة.. (نفس المصدر، والاستيعاب: ج٢، ص ٧٢٠).

(٢٠٨) البحار: ج٣٧، ص ٦٣.

(٢٠٩) أسد الغابة: ج٥، ص ٤٣٨ – القصب: ما كان مستطيلا من الجوهر وعلى حسب قول البعض أن القصر يتكون من قصبة واحدة أي جوهرة واحدة وليس عدّة قصبات (البحار: ج١٦، ص ٨)، وطبقا لبعض الروايات سأل ابو هريرة الرسولﷺ: ما بالمقصود ببيت من قصب؟ قال الرسولﷺ: ذلك جوهر الأجوف (فاطمة الزهراء، تأليف عمادزاده، ص ٢٧).

(٢١٠) البحار: ج٤٣، ص ١٣١.

(٢١١) كشف الغمّة: ج٢، ص ٧١.

(٢١٢) ذخائر العقبى: ص٤٤.

(٢١٣) البحار: ج١٦، ص٧ – كشف الغمّة: ج٢، ص٧١.

(٢١٤) نفس المصدر، ص٢.

(٢١٥) كشف الغمّة.

(٢١٦) البحار: ج٤٠، ص ٦٨.

(٢١٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠، ص ٢٦٦.

(٢١٨) البحار: ج١٦، ص ٨ – كشف الغمّة: ج٢، ص ٧٢.

(٢١٩) نفس المصدر، ص ٧٨ – كما سيأتي ذكره لاحقاً.

(٢٢٠) البحار: ج٩٧، ص ٤٨.

(٢٢١) البحار: ج١٠٠، ص ١٨٩.

(٢٢٢) البحار: ج١٠٢، ص ٢٧٢.
(٢٢٣) البحار، ج٤٣، ص ٥٣ و ٥٤.
(٢٢٤) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٣١٩ - البحار: ج١٣، ص ١٦٤.
(٢٢٥) للمزيد من الشرح راجع البحار: ج١٤، ص ٢٥٠ - ٣٢٦.
(٢٢٦) الآس: شجرة تشبه شجرة الرّمان حيث لأوراقها وأزهارها رائحة عطرة.
(٢٢٧) البحار: ج٦٣، ص ١٧٧.
(٢٢٨) البحار: ج٤٣، ص ٣٠٢ - جاء نظير هذا الحديث باختلاف بسيط في الجزء ٣٧، ص ٦١ و ٩٠.
(٢٢٩) البحار: ج٤٤، ص ٣١٨.
(٢٣٠) البحار: ج٤٥، ص ٦.
(٢٣١) البحار: ج٤٤، ص ١٧٤.
(٢٣٢) معجم دهخدا: ج٢١، ص ٣٠٠.
(٢٣٣) البحار: ج٤٥، ص ٥٩.
(٢٣٤) البحار: ج٢٧، ص ٢٠٧.
(٢٣٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩، ص ٣٢٥.
(٢٣٦) البحار: ج٢٢، ص ٥٠٢.
(٢٣٧) الارشاد للشيخ المفيد: ص ١٧٣.
(٢٣٨) البحار: ج٤٤، ص ٩٠ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦، ص ٤٧ - وقد ذكرت عدّة أسماء لجدّة معاوية منها نثيلة، نقيلة وقتيلة.
(٢٣٩) مهج الدّعوات: ص ٦.
(٢٤٠) الانبياء: ١٠٧ - البحار: ح١٨، ص ١٧.
(٢٤١) البحار: ج٢٢، ص ١٦٧.
(٢٤٢) البحار: ج١٦، ص ٨ - كشف الغمة: ج٢، ص ٧٢.
(٢٤٣) قاموس الرجال: ج ١٠، ص ٤٣٢.
(٢٤٤) نفس المصدر.
(٢٤٥) نفس المصدر - كشف الغمّة: ج٢، ص ٧٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨، ص ١٠٨.
(٢٤٦) رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٠٦.
(٢٤٧) البحار: ج١٥، ص ١١٦ - وعلى قولٍ آخر أنها كانت جارية خديجة عليها السلام فوهبتها الى رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٢٤٨) البحار: ح٤٣، ص ١٣٠ و ١٣١.
(٢٤٩) البحار: ج ١٦، ص ١٢ - كشف الغمّة: ج٢، ص ٧٩.
(٢٥٠) حياة فاطمة الزهراء لعماد زاده: ص ٣٣.

(٢٥١) أسد الغابة: ج٥، ص ٤٣٨.

(٢٥٢) مستدرك سفينة البحار: ج٢، ص ٣٦.

(٢٥٣) حياة فاطمة الزهراء لعماد زاده: ص ٣٦.

(٢٥٤) أسد الغابة: ج٥، ص ٢٢٦ – البحار: ج ١٩، ص٢٤١.

(٢٥٥) وكأن زينب كانت تعلم بأن لرسول اللهصلى الله عليه وآله علاقة خاصة بخديجةعليها السلام لذلك جعلت تلك القلائد الخاصة بخديجةعليها السلام وسيلة لاطلاق أسر زوجها.

(٢٥٦) أسد الغابة:ج٥، ص ٢٣٦ – الاصابة: ج٤، ص١٢١ و ١٢٦.

(٢٥٧) تقع فدك على بعد ١٤٠ كيلومتر عن خيبر وهي أرض زراعية خصبة ومنتجة، وكانت تقطنه أفراد من اليهود، لذلك كانت تسمى بقرية فدك، وطبقا لبعض الروايات كانت أرباح فدك الزراعية السنوية تقدّر بـ ٤٨ ألف دينار، حيث لفترة من الزمن كان اليهود يخصمون نصف الارباح من الرسولصلى الله عليه وآله حتّى ينتهوا من جميع أعمال الزراعة والفلاحة، وعند جمع المحاصيل يعطونه نصف الأرباح (معجم البلدان: كلمة فدك– شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦، ص ٣٤٦).

(٢٥٨) كتاب فدك، تأليف العلامة سيد محمد حسن القزويني: ص ٣٣.

(٢٥٩) تفسير الدّر المنثور: ج٤، ص ١٧٧ بالنقل عن العديد من المحدّثين.

(٢٦٠) البحار: ج١٧، ص ٣٧٨ – يمكن أن نوضّح ذلك بالآتي: بالرغم من أنّ خديجةعليها السلام دفعت مهرها من أموالها الخاصة (كما قلنا سابقاً) لأن الرسولصلى الله عليه وآله كان فقيراً، إلا أنه أراد إسعاد السيدة خديجةعليها السلام بإعطاء فدك لفاطمة (س) واولادها من بعدها، ويعوّض لها بعض من إيثارها وخاصةً إنفاقها المالي، مع التوجه الى أن فدك لم تكن من أموال بيت المال، بل كانت من أموال الرسولصلى الله عليه وآله الخاصّة.

(٢٦١) يقول بعض المحققين: «والأرجح أن المعراج حصل في السنة الثانية أو الثالثة من البعثة».(بنات النبي: ص٦٤)

(٢٦٢) البحار: ج١٨، ص ٣٧٨ – من الطبيعي أن تكون خديجةعليها السلام هي الشخص الوحيد الذي ودّع الرسولصلى الله عليه وآله في معراجه وسفره الى السّماوات.

(٢٦٣) كشف الغمّة: ج ٢، ص ١٣٣ – البحار: ج١٦، ص ٧ و ج١٨، ص ٣٨٥.

(٢٦٤) علل الشرايع: ص ٧٢ – نور الثّقلين: ج٣، ص ١١٩.

(٢٦٥) مستدرك سفينة البحار: ج٣، ص ٣٣٥ و ج٨، ص ٢٣٩.

(٢٦٦) الرعد: ٢٩.

(٢٦٧) تفسير الفرات: ص ٧٣– ٧٤ – البحار: ج١٨، ص ١٥١.

(٢٦٨) تفسير القمّي: ص ٣٤١ – نقل نظير ذلك الحديث في عيون اخبار الرضا: ج١، ص ١١٦ وأيضا في كتب السنة (الميزان: ج١٣، ص ٢٣).

(٢٦٩) راجع عن ذلك البحار: ج٤٣، ص٢ الى ص٦.

(٢٧٠) عيون المعجزات، بناءاً على نقل البحار: ج٤٣، ص ٨.
(٢٧١) كنز جوامع الفوائد - البحار: ج٣٦، ص ٣٦١.
(٢٧٢) البحار: ج١٨، ص ٣٨٧.
(٢٧٣) البحار: ج١٨، ص ٣٧٩-٣٨١ - الميزان: ج١٣، ص ٢٩-٣٠.
(٢٧٤) بنات النبي لجعفر مرتضى العاملي: ص ٦٤.
(٢٧٥) الوامق: المحب.
(٢٧٦) هجرة ولا قلى: أي ولا غضب.
(٢٧٧) قال الجوهري: أجفت الباب: أي رددته.
(٢٧٨) قال الجوهري: أسجفت الستر: أي أرسلته.
(٢٧٩) الورد: الصلاة، أو الجزء من القرآن يقوم به الانسان كل ليلة.
(٢٨٠) البحار: ج١٦، ص ٧٩ - ٨٠.
(٢٨١) بيت الأحزان: ص ١٨.
(٢٨٢) البحار: ج١٦، ص ٨٠-٨١ و ج ٦، ص ٢٤٧ و ج ٤٣، ص ٢.
(٢٨٣) مجمع البيان: ج٩، ص ١٨٦.
(٢٨٤) اقتباسا عن رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٦٥.
(٢٨٥) تفسير منهج الصّادقين، طبقا لنقل رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.
(٢٨٦) يقول ابن هشام: أبناء خديجةؑ من الرسولﷺ هم: رقيّة، زينب، أم كلثوم، فاطمة، قاسم، طيّب وطاهر (سيرة ابن هشام: ج١، ص ٢٠٢).
(٢٨٧) كشف الغمّة: ج٢، ص ٧٣ - كانت خديجةؑ هي الوحيدة من بين زوجات النبيﷺ التي ولدت له، وكان للنبيﷺ ولد يسمى ابراهيم من زوجته الأخرى «مارية القبطية».
(٢٨٨) خصال الشيخ الصدوق: ص ٣٧-٣٨ - البحار: ج١٦، ص ٣.
(٢٨٩) أعيان الشيعة طبعة الارشاد: ج١، ص ٢٢٣ - طبقاً لبعض الروايات انه عندما سمع عتبة حادثة معراج النبيﷺ أنكره بشدّة وغضب فطلّق زوجته رقيّة (مجمع البيان: ج٧، ص ١٧٢).
(٢٩٠) سيرة ابن هشام: ج١، ص ٢٠٢.
(٢٩١) قرب الاسناد: ص ٦-٧.
(٢٩٢) البحار: ج٢٢، ص ١٥٢.
(٢٩٣) الكوثر: ٣.
(٢٩٤) البحار: ج ٢٢، ص ١٦٦-١٦٧.
(٢٩٥) كما صرّح العلامة المامقاني بذلك في تنقيح المقال: ج٣، ص ٧٧.
(٢٩٦) البحار: ج٢٢، ص ١٦٣ - رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٧٠.

(٢٩٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤، ص ١٨٩.
(٢٩٨) البحار: ج١٩، ص ٣٤٨.
(٢٩٩) البحار: ج ٢٠، ص ٣٦٣-٣٦٤ (كما ذكرنا من قبل).
(٣٠٠) البدء والتاريخ: ج٣٥، ص ١٦ و ج٦، ص١٣٩ - تاريخ الخميس: ج١، ص ٢٧٢.
(٣٠١) مختصر تاريخ دمشق: ج٢، ص ٢٦٣ - الدّر المنثور: ج٦، ص ٤٠٤.
(٣٠٢) المواهب اللّدنيّة: ج١، ص ١٩٦ - تاريخ الخميس: ج١، ص ٢٧٢ - بنات النبي: ص ٢٣.
(٣٠٣) أعيان الشّيعة: ج١، ص ٢٢٣ - جوامع الحكايات لمحمد العوفي: ص ٣٨.
(٣٠٤) رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٦٨.
(٣٠٥) البعض قال أن نبّاش بن زرارة أو هند بن زرارة (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥، ص ١٣١ - كشف الغمّة: ج٢، ص ٧٦).
(٣٠٦) البحار: ج٢٢، ص ١٩١ - رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٩٦.
(٣٠٧) البحار: ج٢٢، ص ١٩١ نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب: ج١، ص ١٥٩.
(٣٠٨) خديجةؑ، تأليف محمد علي دُخيّل: ص ١١.
(٣٠٩) أُلّف هذا الكتاب في سنة ١٤١٣ هـ. ق ونشرت وطبعت الطبعة الثانية من الكتاب في سنة هـ. ق١٤١٦ (١٣٧٥ شمسية) بالخط الرقعي في ١٤٨ صفحة بواسطة مكتب التبليغات في حوزة قم.
(٣١٠) بنات النبي: ص ٧٥ و ١٢٤.
(٣١١) بنات النبي: ص ٨٨ وحتى ٩٣.
(٣١٢) مناقب آل أبيطالب: ج ١، ص ١٥٩.
(٣١٣) تنقيح المقال: ج٣، فصل النساء، ص ٧٧.
(٣١٤) احقاق الحق: ج٥، ص ٧٤ - مناقب عبدالله الشافعي: ص ٥٠.
(٣١٥) بنات النبي أم ربائبه؟: ص ١١٩-١٢٠.
(٣١٦) الاحزاب: ٥٩.
(٣١٧) الآية (٦١) من سورة آل عمران.
(٣١٨) اقتباسا عن رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٦٩.
(٣١٩) رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٩٧.
(٣٢٠) البحار: ج٢٢، ص ١٦٦.
(٣٢١) أنساب الأشراف لبلاذري: ص ٣٩٦.
(٣٢٢) فروع الكافي: ج٣، ص ٦١٨ - البحار: ج١٦، ص ١٥-١٦.
(٣٢٣) فروع الكافي: ج٣، ص ٦١٨ - البحار: ج١٦، ص ١٥-١٦ - مشكاة الأنوار: ص ٢٣.
(٣٢٤) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص ٣٢.

(٣٢٥) الرّوض الأنف للسهيلي: ج١، ص ٢١٤.
(٣٢٦) جمهرة أنساب العرب: ص١٦.
(٣٢٧) البحار: ج١٩، ص ٥ و ٥٨ و ١٤ و ٢٤.
(٣٢٨) الغدير: ج٧، ص ٣٧٢.
(٣٢٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤، ص٦١.
(٣٣٠) البحار: ج٣٥، ص ٨٢.
(٣٣١) مجمع البيان: ج١٠، ص ٣٠ - البحار: ج١٩، ص ٢٠ و ٢٤ (مع اختلافٍ بسيط).
(٣٣٢) حياة فاطمة الزهراء لعماد زاده: ص ٣٦.
(٣٣٣) يجب التوجه الى أن جاء في المصدر أسماء بنت عميس، وهذا خطأ لأن في تلك الوقت كانت أسماء بنت عميس زوجة جعفر الطّيّار، وعند رحيل السيدة خديجة(ع) ووفاتها وزفاف فاطمة (س) كانت مع زوجها في الحبشة، لذلك قال البعض: أن المقصودة هي أسماء بنت يزيد بن سكن والتي كانت تلقّب بأم سلمة (راجع عن ذلك البحار: ج٤٣، ص ١٣٤ الهامش).
(٣٣٤) كشف الغمّة، البحار: ج٤٣، ص ١٣٨.
(٣٣٥) اقتباساً عن الوقائع والحوادث: ج١، ص ١٣٢.
(٣٣٦) أعلام الورى: ص ٦٢ - ٦٣.
(٣٣٧) البحار: ج١٩، ص ٢١.
(٣٣٨) طبقاً لبعض الروايات أن الرسول(ص) قال: في قصر له أربعة أبواب الى الجنة - البحار: ج٢٢، ص ٥٠٩.
(٣٣٩) المجالس للشيخ المفيد: ص ١١٠ - البحار: ج١٦، ص ١.
(٣٤٠) صحيح البخاري، نقلاً عن حياة فاطمة الزهراء لعماد زاده: ص ٢٧.
(٣٤١) بالرغم من ان بعض الروايات تحكي أن قبر السيدة آمنة(ع) والدة الرسول(ص) يقع في «أبواء» بين المدينة ومكّة، ولكن المحدّث المحلاتي يقول: والصحيح أن جنازة السيدة آمنة(ع) نقلت من هناك الى حجون ودفنت فيها (رياحين الشريعة: ج٢، ص ٤١٢).
(٣٤٢) رياحين الشريعة: ج٢، ص ٢٧١ - كشف الغمّة: ج٢، ص ٧٩.
(٣٤٣) البحار: ج١٦، ص ١٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤، ص ٧٦.
(٣٤٤) سيرة ابن هشام: ج٢، ص ٥٨.
(٣٤٥) مناقب آل أبيطالب: ج٤، ص ٤٩ - البحار: ج٤٤، ص ١٩٣.
(٣٤٦) الأنبياء: ١٠٣.
(٣٤٧) البحار: ج٥٣، ص ٢٣.
(٣٤٨) آمالي الصدوق: ص ٣٧٨ - البحار: ج٢٢، ص ٥٠٩.
(٣٤٩) بصائر الدّرجات: ج٨، ص ١١٩ - البحار: ج٤٧، ص ٩١ وج٦، ص ٢٤٥.

(٣٥٠) البحار: ج ٤٢، ص ٢٨٣.

(٣٥١) لهوف سيد بن طاووس: ص ٢٢٠ - البحار: ج٤٥، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٣٥٢) المزار الكبير: ص١٠٧ - البحار: ج١٠١، ص ٥٨.

(٣٥٣) كنز الفوائد: ص ٨٩.

(٣٥٤) تفسير الفرات، طبقاً لنقل البحار: ج٤٣، ص ٦٤-٦٥.

(٣٥٥) تفسير الفرات، طبقاً لنقل البحار: ج٤٣، ص ٣٧.

(٣٥٦) مِحِفة: مركب للنساء كالهودج.

(٣٥٧) نمرقة: الوسادة الصغيرة.

(٣٥٨) تفسير الفرات، طبقاً لنقل البحار: ج٨، ص ٥٣-٥٥.

(٣٥٩) آداب الحرمين: ص ٢٣١.

فهرس المحتويات

الفصل الأول
السيدة خديجةعليها السلام من الولادة وحتى بعثة الرسولصلى الله عليه وآله وسلم
١٥

الفصل الثاني
السيدة خديجة عليها السلام أول امرأة مسلمة وتضحياتها
٦٩

الفصل الثالث
فضائل، أولاد، وصيّة، وفاة ومقامات السيّدة خديجة عليها السلام

مؤلفات السيّد الدّيباجيّ الالكترونية

١ - سيماء الأولياء وكراماتهم (ج٢)
٢ - حقوق الإنسان في الإسلام
٣ - حقوق المرأة في الإسلام
٤ - السيدة خديجة‌عليها‌السلام: مقاومة، إيثار، أسطورة
٥ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج١)
٦ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج٢)
٧ - القصص القرآنية (ج١)
٨ - القصص القرآنية (ج٢)
٩ - القصص القرآنية (ج٣)
١٠ - القصص القرآنية (ج٤)
١١ - القصص القرآنية (ج٥)
١٢ - التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٣ - النبوة، دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٤ - العدل، دراسة معاصرة، الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٥ - الإمامة، دراسة معاصرة، الحلقة الرابعة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٦ - المعاد يوم القيامة، دراسة معاصرة، الحلقة الخامسة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٧ - منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشر‌عليهم‌السلام (ج١)
١٨ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر‌عليهم‌السلام (ج٢)
١٩ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر‌عليهم‌السلام (ج٣)
٢٠ - الفتنة العظمى، سلسلة دراسات تأريخية
٢١ - مظاهر الفرقة بين المسلمين وعلاجها
٢٢ - الإمام المهدي‌عليه‌السلام: الحقيقة المنتظرة
٢٣ - حوار حول الإمام المهدي (عج)
٢٤ - العباس بن علي‌عليه‌السلام بطل النهضة الحسينية
٢٥ - زينب الكبرى‌عليها‌السلام: بطلة الحرية
٢٦ - الحج: أحكاماً وفلسفة ودعاء
٢٧ - أجوبتنا على مسائلكم الدينية
٢٨ - رسالة عقائدية (ردّ على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي)
٢٩ - الروضة المنتخبة
٣٠ - أجود المناظرات (تحت إشراف المؤلف)
٣١ - القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر
٣٢ - أنصار الإمام الحسين‌عليه‌السلام
٣٣ - فضائل ومناقب علي‌عليه‌السلام وفاطمة‌عليها‌السلام في مسانيد أهل السنة (ج١)
٣٤ - فضائل ومناقب علي‌عليه‌السلام وفاطمة‌عليها‌السلام في مسانيد أهل السنة (ج٢)
٣٥ - قصص المثنوي
٣٦ - خطر الأفيون
٣٧ - زيارة الإمام الرضا سلام الله عليه